دور الهوية الدينية في تعطيل تسوية حل الدولتين في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي

The Role of Religious Identity in Hindering the Settlement Of the Two-State Solution in the Palestinian-Israeli Conflict

م.د. مهدي أبو بكر حمه علي

كلية العلوم السياسية – جامعة السليمانية

mahdi.kareem@univsul.edu.iq

تاريخ استلام البحث: ٢٠٢٥/١/٣ تاريخ قبول النشر: ٢٠٢٥/٤/٦

الملخص:

منذ العصور القديمة وحتى اليوم، ظلّت الهوية الدينية محركًا أساسيًا في إشعال الصراعات السياسية وإطالة أمدها، فمع أن الاختلافات الدينية قد لا تبدو كعامل رئيسي في النزاعات السياسية المعاصرة، إلا أنها تظل خلفيةً جوهريةً في معظمها، حتى تلك التي تنشأ داخل الإطار الديني الواحد. وفي سياق الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، تزيد الهوية الدينية من تعقيد تحقيق تسوية سياسية أو مصالحة، إذ تحول فكرة حل الدولتين إلى هدفٍ مثالي يصعب تحقيقه وسط استمرار التنافس الهوياتي القائم على الدين. وتُفاقم هذا التعقيد ميولُ التيارات السياسية (سواء العلمانية أو الدينية) إلى استغلال الخطاب الديني لتعزيز نفوذها السياسي وكسب الشرعية الشعبية، وهذا ما يعمّق الانقسام بين الهويتين الإسلامية/الفلسطينية واليهودية/الإسرائيلية، ويحول الصراع إلى مواجهة دينية–سياسية أكثر عنفًا، ويبعد الطرفين تدريجيًا عن أي حلٍ سياسي قائم على التعايش السلمي لدولتين متجاورتين.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الهوية الدينية، الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، حل الدولتين.

Abstract:

From ancient times to the present day, religious identity has remained a fundamental driver in igniting political conflicts and prolonging their duration. While religious differences may not appear as a primary factor in contemporary political disputes, they often serve as an underlying foundation in most of them—even those arising within a single religious framework. In the context of the Palestinian-Israeli conflict, religious identity further complicates achieving a political settlement or reconciliation, transforming the idea of a two-state solution into an idealistic goal that is difficult to realize amid ongoing identity-based competition rooted in religion. This complexity is exacerbated by the tendency of political movements—both secular and religious—to leverage religious discourse to bolster their political influence and gain popular legitimacy. This deepens the divide between the Islamic/Palestinian and Jewish/Israeli identities, transforms the conflict into a more violent religious-political confrontation, and gradually distances both sides from any political solution based on peaceful coexistence between two neighboring states.

Keywords: Identity, Religious Identity, Palestinian-Israeli Conflict, Two-State Solution

المقدمة

يُعد الصراع الفلسطيني الإسرائيلي أحد أكثر النزاعات تعقيدًا في التاريخ الحديث، إذ تتداخل العوامل السياسية والجغرافية مع الروايات التاريخية والدينية العميقة. وعلى الرغم من المحاولات الدولية المتكررة لدفع تسوية "حل الدولتين"، فإن إشكالية الهوية الدينية تظل عائقًا جوهريًّا يُعقّد مسار السلام. فلكل طرف رؤية مقدسة للأرض تصب في صلب هويته الجماعية، سواء عبر الربط اليهودي بين "أرض الميعاد" والمشروع الصهيوني، أو عبر الارتباط الإسلامي الفلسطيني بالقدس والأراضي المقدسة. فهذه الرموز الدينية، التي تتحول إلى سردياتٍ غير قابلة للمساومة، تُغذي رفض التنازلات وتعمق الشكوك المتبادلة، مما يحوّل الدين من عاملٍ روحي موحّد إلى أداةٍ للصراع تعيق كل حل واقعي يقوم على التقسيم السياسي.

أهمية البحث: تتمثل أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على الدور المحوري للهوية الدينية في إطار الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، لا سيما فيما يتعلق بدورها في تأجيج هذا الصراع وتحوُّلها إلى عائقٍ رئيسي يعترض طريق حلّ الدولتين، الذي يُنظر إليه كخيارٍ سياسي عادل لإنهاء صراعٍ دموي مستمرٍ التهمَ أجيالاً متعاقبة على مدار أكثر من سبعين عاماً.

هدف البحث: يهدف هذا البحث على إبراز حقيقة أن العوامل السياسية والإقتصادية والجيوستراتيجية والعسكرية ليست وحدها المسؤولة عن تعثر تحقيق السلام في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، بل يلعب العامل الديني (بوصفه مكونًا رئيسيًا لهوية السكان الفلسطينيين والإسرائيليين) دورًا محوريًا في تعقيد المسار التفاوضي، وإعاقة الوصول إلى المصالحة بين الطرفين، وهذا ما يقوض إمكانية تحقيق الحل المنشود القائم على إقامة دولتين تتعايشان جنبًا إلى جنب.

مشكلة البحث: تتمحور الإشكالية حول تساؤلٍ مركزي هو: هل تمارس الهوية الدينية دورًا محوريًا في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، عبر هيمنتها على القرار السياسي وعرقلة مسارات المصالحة بين الطرفين، مما يعطل الوصول إلى تسويةٍ قائمةٍ على حل الدولتين؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية الآتية: هل توفر الخلفية التاريخية والحضارية والثقافية والسياسية أرضية خصبة لتعزيز تأثير الهوية الدينية في تفاقم الصراع؟ وهل تتداخل العوامل الدينية مع غير الدينية (كالسياسية والاقتصادية) لتعزيز هيمنة الهوية الدينية كأداةٍ لإفشال المبادرات السلمية؟ وما الآليات التي تستخدمها الهوية الدينية لتعميق الشرخ بين الجانبين، وتحويل الحل السياسي (كحلّ الدولتين) إلى هدفٍ بعيد المنال؟

فرضية البحث: يرتكز هذا البحث على فرضيةٍ رئيسيةٍ مفادها أن الهوية الدينية (بوصفها الهوية الجامعة والمسيطرة في المجتمعين الفلسطيني والإسرائيلي، وتُشكل الإطار الثقافي المرجعي لكليهما) تلعب دورًا محوريًا في تأجيج الصراع وتغذيته، فضلًا عن كونها تشكل عقبةً كبرى أمام التسوية السياسية القائمة على مبدأ حل الدولتين، التي ينظر إليها كمسارٍ وحيد لطي صفحة الصراع.

مناهج البحث: اعتمدتُ في هذا البحث على منهجين رئيسيين هما:

١. المنهج المقارن، يكون الهدف من استخدام هذا المنهج هو مقارنة تأثير الهوية الدينية في تشكيل الهويتين الفلسطينية والإسرائيلية، ومدى انعكاس ذلك على المواقف السياسية تجاه حل الدولتين. وكذلك لأجل كشف التناقضات والتشابهات في توظيف الهوية الدينية بين الجانبين، وهذا ما يفسر استمرارية الصراع.

٢. منهج دراسة الحالة، والهدف من استخدام هذا المنهج يكون لأجل الغوص في حالات محددة تجلى فيها الدور الفعلي للهوية الدينية في تعطيل الحل السياسي، وبشكل عام سيقدم لنا هذا المنتج فهمًا عميقًا لآليات تحويل الهوية الدينية إلى أداة سياسية تعيق الحل.

هيكلية البحث: ينقسم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسية، ويتفرع كل مبحث إلى أقسام تفصيلية تتناسب وطبيعة التحليل. وجاء المبحث الأول تحت عنوان "المقاربات المفاهيمية"، إذ يهدف إلى تحديد الإطار النظري للبحث من خلال تعريف المفاهيم الأساسية، مثل مفهوم الهوية بوجه عام، والهوية الدينية بوصفها محورًا رئيسيًا في تشكيل الوعي الجمعي، مع التوقف عند خصوصية الهوية اليهودية والهوية الإسلامية كحالات دراسية تجسد التداخل بين الديني والهوياتي. أما المبحث الثاني، الذي يحمل عنوان "الأصول الدينية للصراع الهوياتي بين الفلسطينيين والإسرائيليين"، فيتناول الجذور الدينية التي تغذي الصراع من خلال قسمين: أحدهما يحلل الموقف اليهودي من الإسلام انطلاقًا من النصوص التوراتية والتاريخية، في حين يفصل القسم الآخر الموقف الإسلامي من اليهودية بناءً على القراءات القرآنية والسنة النبوية. ويختتم البحث بالمبحث الثالث بعنوان "الهوية الدينية كعائق أمام حل الدولتين"، ويندرج تحته قسمان: يركز أحدهما على الدور الذي تلعبه الهوية الدينية الإسرائيلية في عرقلة قيام الدولة الفلسطينية. في حين يناقش القسم الآخر تأثير الهوية الدينية الفلسطينية في تعزيز رفض الاعتراف بإسرائيل.

المبحث الأول: مقاربات مفاهيمية

نحاول في هذا المبحث التركيز على المفاهيم التي تشكل الإطار المنهجي للبحث وتكون بمنزلة اللبنات الأساسية التي تبنى عليها فرضية البحث وإشكالياته المتعددة.

المطلب الأول: حول مفهوم الهوية

أصبح الاهتمام بموضوع الهوية (على مستوى الفرد والجماعة) في عصرنا الراهن مسألة بالغة الأهمية بالنسبة للباحثين حتى على المستوى الإستراتيجي للدول. إذًا ما الهوية؟ يبدو المفهوم جلياً للوهلة الأولى، ولكن عندما يتعمق المرء في المفهوم إلى حد ما، يدرك أن هناك صعوبات كثيرة في تعريفه وتغطيته، والسبب هو تشابك المفهوم مع مفاهيم اخرى مثل "الشخصية أو الطبع أو الشعور بالذات" في معانيه ودلالاته حتى يرى البعض أنه مرادف لهذه المفاهيم[١].

يستعمل مصطلح الهوية في الأبحاث المعاصرة مطابقة للمصطلح الإنكليزي (Identity) والمصطلح الفرنسي (Identité) فالكلمة تعود إلى الأصل اللاتيني (Idem) الذي يعني "نفسه". ويشير معناها الأول إلى صفة التماثل، وهذا ما يوحي بأن دلالة كلمة الهوية لا تكسب معناها إلا في سياق

علائقي؛ فعندما يكون شيئان متماثلين فإننا نقول حينئذ إنهما يُظهران هوية، أي أنهما يوصَفان في اللغة الإنكليزية بكونهما متماثلين (Identical). أما معناها الثاني فيرتبط بالممارسات البشرية الخاصة بتسمية الأشياء وتصنيفها، ذلك أننا حين نسمي شيئًا، فإننا نحدد هويته، ومن خلال هذا التحديد للهوية نحدد ماهية ذلك الشيء عبر تصنيفه مع الأشياء التي تُشبهه، وتمييزه من الأشياء التي لا تشبهه. لذلك تُظهر الهوية في نطاق علاقات التماثل والاختلاف، والاقتران والتمايز، والجماعة والفرد[٢].

وهذا يقودنا إلى أنَّ الهوية "عبارة عن التشخص، وقد تطلق على الماهية مع التشخص". وتطلق أيضًا "على الشيء من جهة ما هو أحد". وفلسفة الهوية تتضمن كل النظريات التي لا تفرق بين المادة والروح، ولا بين الذات والموضوع، وينظر إليهما على أنهما وحدة لا تنفصل[٣].

ويدل مصطلح الهوية على المستوى الفلسفي بشكل عام على معنيين مختلفين؛ أحدهما يدل على الوجود، والأخر يدل على ما به يكون الشيء هو نفسه[٤]. ويعود الفضل في ظهور مفهوم الهوية بالأصل إلى أرسطو وتركيزه على ظاهرة النفس، أي بقاء الشيء نفسه أو الموضوع ذاته أو المفهوم نفسه على حاله[٥]. إن الإرث النظري الذي تركته لنا دراسات الهوية في مختلف العلوم، ولا سيما العلوم الاجتماعية، وخاصة في الفكر الغربي المعاصر هو من الاتساع والتعدد بما يتطابق مع التنوع المدرسي والإيديولوجي في ذلك الفكر. ومن الأطروحات التي حظيت بالمناقشة ما يمكن تسميته "الهوية بالوراثة" أو الهوية الإثنية أو العرقية نسبة إلى الانتماء الإثني أو العرقي. ويشير بعض الدراسات السوسيولوجية المعاصرة إلى أن مفهوم الهوية قابل للمقاربة من عدة زوايا، فالهوية بشكل عام تتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم، وكثيرًا ما يتشكل هذا الفهم انطلاقًا من خصائص محددة تتخذ المرتبة الأولية على غيرها، مثل الجنوسة أو الطبقة أو الأثنية أو الدين أو الطائفة[٦]. ومع دور المصادر المذكورة آنفًا في تشكيل الهوية، فإن الهوية كما عبرت عنها مجموعة من الباحثين تشير إلى صور الفردية والتميز (الذاتية) يحملها ويخططها ممثل ويشكلها (ويعدلها مع مرور الزمن) عبر العلاقات مع (آخرين) مهمين[٧].

وعليه إن ما يهم لتحديد هوية مجموعة ليس جرد مجموع سماتها الثقافية المميزة بل أن نرصد، من بينها، تلك التي يستعملها أفراد المجموعة ليثبتوا تمايزًا ثقافيًا ويحافظوا عليه. وبتعبير آخر، ليس الاختلاف الهوياتي نتيجة مباشرة للاختلاف الثقافي إذ لا يُنتج ثقافة معينة بذاتها هوية مختلفة، فهذه لا يمكن أن تتولد إلا عن تفاعلات بين المجموعات وعن مجريات التمايز التي تضعها هذه المجموعات موضع الفعل، خلال علاقات بعضها لبعض[٨]. لقد أشار كلود ديبار، أحد أبرز دارسي الهوية في الفكر السوسيولوجي المعاصر إلى أن الهوية لا تُعطي وإنما تبنى[٩]. فهذا البناء يستند إلى الشعور السليم بالهوية، لأن هذا الشعور يحافظ على استمرارية الهوية بالقدر الذي يعطي فيه الشخص أو الجماعة للتغير والتبدل صبغة الاستمرارية والديمومة. وعندما تظهر التباينات على شكل انقطاعات حادة فإن ذلك يؤدي إلى أزمات الهوية[١٠].

وعلينا أن ندرك أن الشعور بالهوية* لا يأتي من الفراغ، وإنما يأتي من الوعي بامتلاك الهوية وهذا بدوره يحتاج إلى الإدراك المباشر للاستواء والاستمرارية في الزمن، وما يرتبط بذلك من إدراك أن يتعرف الآخرون على هذا الاستواء والاستمرارية أيضًا[١١]. وإضافة إلى ذلك فالشعور بالهوية ليس شيئًا إحصائيًا على الإطلاق، شيئًا يحظى به المرء ويحمله معه عندئذ كملكية غير قابلة للضياع، وإنما يخضع بحسب الحالات الداخلية والتفاعلات الاجتماعية الخارجية إلى تأرجحات، وينبغي الدفاع عنه بلا انقطاع ضد النزعات اللاشعورية والأخطار الخارجية[١٢]. وهذا يدعم تلك الرؤية التي ترى أن جذور الكراهية، والمنافسة، والحاجة إلى أعداء، وعنف الفرد والمجموعة، والحرب المغروسة في الإنسان تؤدي إلى الانحياز إلى الناس لمصلحة مجموعتهم عندما تقارن بمجموعة أخرى حتى إن كانت مجموعتهم تعسفية وطارئة وصغيرة جدًا[١٣]. انطلاقاً من ذلك كله، تشكل الهوية أنظمة ادراكية، وتقويمية، وتنعكس كصدى للحياة والسلوكيات الجمعية، وتتجسد هذه الأنظمة في بنى سيكولوجية ثقافية عند الفرد وفي داخل الجماعة والمجتمع[١٤]. ومن هنا يطرح سؤال نفسه هو: ما المرجعيات التي تُمكِن الهوية من التجسد في بنى سيكولوجية عند الفرد والجماعة؟ فيجاب أن الهوية تستند إلى مرجعيات تتضمن العناصر الآتية[١٥]:

١. **البيئة الحيوية:** وتشمل على خصائص الوسط والشروط التي تغطي نشاطات الجماعة المعينة مثل: الوضعية الجغرافية والجيولوجية، والمناخ، والبحار، والطوبوغرافيا، وحالة السكن، والتنظيم الداخلي، وأساليب الاتصال.

٢. **التاريخ:** يشكل تاريخ الجماعة منطلقًا لتحديد هويتها، إذ تتجذر هوية الجماعة في تاريخها، وتنطوي على الأحداث الفردية والجمعية وعلى صورة أبطالها التاريخيين أيضًا.

٣. **الديموغرافيا:** وتشمل على عدد أفراد الجماعة وتوزعاتهم وفقًا للجنس والعمر والنشاط، ووفقًا لفئات النشاطات الاقتصادية والمهنية.

٤. **التنظيم الاجتماعي:** وتشمل على التنظيم الرسمي ويتضمن: الوظائف، والقوانين، ونمط السلطة، والإجراءات، ونظام اتخاذ القرارات، واتجاهات المشاركة.

٥. **الذهنية:** هي سبيل لتفسير ومراجعة الرموز ومعايير السلوك، وأنظمة الآراء والعقائد، واتجاهات الفرد والجماعة، وتتيح الذهنية مجالاً لتقويم ذاتي. ولذلك تشمل على تحليل لمحتوى كل أشكال التعبير الجمعي الذي يسمح بتعريف العناصر البنائية للعقلية.

هناك أطروحات متطرفة ومغالية لا تعترف بدور العناصر المذكورة آنفًا في تشكيل الهوية، بل أنها تؤكد أن الهوية مرسومة عمليًا في الإرث الجيني. يولد الفرد، بفعل ميراثه البيولوجي، وله عناصر مكونة للهوية الأثنية والثقافية، مع ما فيها من خاصيات الطبع الوراثي والخصال النفسية لـ "الذهنية" و"العبقرية" الخاصة بالشعب الذي ينتمي إليه. تنبني الهوية، إذًا، على شعور فطري بالانتماء، نوعًا ما[١٦].

وانطلاقًا على ما سبق نسأل؛ هل يتمتع الإنسان بالهوية الواحدة أم بالهويات المختلفة؟ بتعبير آخر هل تظهر الهوية في مستوى واحد أو أنها تمتلك مستويات مختلفة؟ فالهوية كما يبدو من الخارج تعريف لكائن ما

(فرد، وجماعة أو مجتمع)، لذلك ينبغي التمييز بين ثلاثة مستويات مختلفة للهوية هي؛ أولاً المستوى الفردي، الذي يقوم على شعور الفرد بالانتماء إلى جماعة أو إطار إنساني أكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات. فهذا المستوى يرتبط بالثقافة السائدة وبعملية التنشئة الاجتماعية. ثانيًا المستوى الجمعي، يعبر هذا المستوى للهوية عن الإتجاهات السياسية للجماعة ويتجسد في شكل تنظيمات وأحزاب سياسية واتحادات مهنية وحرفية وهيئات شعبية، ويتسم هذا المستوى بأنه ذو طابع تطوعي واختياري. ثالثًا المستوى القانوني المؤسساتي، تتبلور هذه الهوية في مؤسسات وأبنية واشكالية قانونية على يد الحكومات والأنظمة. وتخضع في هذا المستوى إلى المؤسسة القانونية الكبرى في المجتمع، أي الدولة[١٧].

والآن في ضوء عدم إمكان تفادي الهوية، كيف نعرفها؟ لدى الباحثين أجوبة مختلفة وتلتقي مع ذلك على فكرة متقاربة مركزية، هي أن الهوية إحساس الفرد أو الجماعة بالذات. إنها نتيجة وعي الذات، بأنني (أنا) أو (نحن) نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك وتميزنا عنهم[١٨].

فالهوية ليست شيئًا جامدًا، بل هي حقيقة تتطور وفقًا لمنطقها الخاص الذي يتجسد في عمليات التقمص والتمثل والاطفاء. وهي في سياق تطورها تتحدد على نحوٍ تدريجي وتعيد تنظيم نفسها، وتتغير من غير توقف، وذلك إلى حد تكون فيه قادرة على تحديد خصوصية الكائن الإنساني. وهي تنطوي على دينامية داخلية مماثلة لمنظومة العمليات المعرفية والعقلية التي تشكل منطلقات الاحساس بالهوية. وشأنها في ذلك شأن مركب تكاملي يتجاوز مراحل نموه[١٩]. وبتعبير آخر أنها ليست كيانًا يعطي دفعة واحدة وإلى الأبد، بل هي حقيقة تولد وتنمو، وتتكون وتغاير، وتشيخ وتعاني من الأزمات الوجودية والاستلاب[٢٠].

المطلب الثاني: حول مفهوم الهوية الدينية

الدين لكونه ممارسة جماعية مرتبط بالمجتمع، لذلك يجد المجتمع قوته في تحويل الدين إلى ممارسة اجتماعية، لأنه يعثر على مجموعة من القيم والرموز التي تدفع به إلى تجاوز الانقسامات والصراعات الجانبية، وإيجاد التلاحم بين مكوناته. ولذلك تستطيع الوحدة الدينية بناء مجتمع موحد وتكوين فرد قوي وفق نسق من القيم[٢١]. والدين بهذا المعنى هو ظاهرة اجتماعية متصلة بالجماعة. ولكن الدين في بعده الفردي مرتبط بتجربة المقدس، وهذه التجربة لكونها تقوم على أساس الإيمان بالغيب، سواء أكانت انفعالية أم تأملية، مشعوذة أم راهبة، تأخذ مكانها في وعي الإنسان في تلك المنطقة التي تصل فيها الحس بالعقل، فالدين، بهذا المعنى أي معنى المقدس يشكل تجربة عاطفية وجدانية مكونة للإنسان[٢٢].

وفي هذا الإطار يمكن أن نعرف الدين من زاويتين مختلفتين احداهما، من زاوية علاقة الفرد بالمقدس: ممارسة بشرية جماعية تميّزها العلاقة بالمقدس المتجاوز للواقع المادي المحسوس، والمُمأسسة في عبادة[٢٣]. الاخرى، من زاوية علاقة المقدس بالتلاحم المجتمعي والهوية الجماعية: وهو منظومة متماسكة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بالأمور المقدسة، وهي معتقدات وممارسات التجمع في إيلاف أخلاقي واحد[٢٤]. ومن هنا نجد أن الدين هو عامل من عوامل التضامن تسهم في نشاط الخيال الجمعي وتشكل جزءًا أساسيًا من الهوية الجمعية[٢٥].

من الناحية الأخرى يوفر الدين نظرة عالمية متعالية تدعم المعتقدات الأخلاقية والمعايير السلوكية في قاعدة إيديولوجية، وتجسد هذه المعايير الإيديولوجية في مجتمع المؤمنين، لذلك يمكن النظر إلى التدين بوصفه هوية دينية[٢٦]. فالهوية الدينية بهذا المعنى هي خطاب حول الحدود والارتباط والاختلاف، وفي الوقت نفسه تعني الشمولية والشمول؛ إن الهوية الدينية والهوية معًا تشكلان أسلوب حياة يرتبط بالمقدس بالنسبة للمؤمنين، وتشمل الهوية الدينية فهمًا معينًا للعلاقة بين العالمين البشري والمقدس، والكائنات المخلوقة والإله، والمقدس والدنيوي[٢٧]. ومع ذلك في المجتمعات الحديثة قد تتخذ الهويات الدينية الفردية مسارات مختلفة، وقد يتحول دورها من دور جماعي إلى فردي ومن دور رئيسي إلى دور ثانوي. وتزعم نظرية العلمانية أن التحديث كان أدى إلى تآكل الهوية الدينية والقيم التقليدية، من خلال التداخل التدريجي بين العلم (التفسير) والدين (قبول الغموض) [٢٨]. وهكذا يبدو أن الهويات الدينية تتخذ موقعًا محددًا في هامش المجتمع، ولكن بخلاف ذلك لا تزال الهوية الدينية تلعب دورًا كبيرًا في الواقع الاجتماعي[٢٩].

ومع أننا لا نشترك جميعًا في هوية دينية واحدة ولا نعرف تمامًا ماذا نفعل بالهويات العديدة التي تحيط بنا[٣٠]. نستطيع التأكيد أن الدين غير غائبٍ عن المجال العام، بل ظل مركزيًا بالنسبة إلى الهويات الشخصية للجماعات أو الأفراد. ومن هنا فإن من الممكن دائمًا أن يكون مكونًا محددًا للهويات السياسية[٣١]. وعليه يمكن القول إن الهوية الدينية تشكل جوهرًا إرشاديًا فريدًا يشكل كيفية استجابة الآخرين لنا وكيفية توجيه سلوكنا. فإما أن نمتلكها أو لا نمتلكها، وقد تكون الهويات الأخرى جزئية، ولكن الهويات الدينية "الحقيقية" لابد أن تكون كلية[٣٢].

المطلب الثالث: حول مفهوم الهوية الإسلامية

يظهر جوهر الهوية الإسلامية من خلال تعريف المرء نفسه بالإسلام وأن يكون الإسلام هو العنصر التعريفي للحياة الاجتماعية، أي من خلال الانتماء إلى الله تعالى ورسوله وإلى دين الإسلام وعقيدة التوحيد[٣٣]. ويعظم الله هذه الهوية حين يمدحها بآيات في ذكره الحكيم، إذ يقول تعالى: "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"[٣٤]. ويقول تعالى: "وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ"[٣٥]. ويقول تعالى أيضًا: "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ"[٣٦]. وعليه رسم القرآن مفهوم الهوية عند المسلمين، فجعل العقيدة معيار الولاء والبراء والحب والبغض، وهي المنظار الذي يرى المؤمن من خلاله القيم والأفكار والمبادئ ويحكم على الأشخاص وينزلهم منازلهم.

إن الهوية عند المسلمين أكثر أهمية، والإسلام بعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته ولغته هو هوية مشتركة لكل مسلم[٣٧]. فإذا أردنا أن نعطي تعريفًا عامًا لهذه الهوية، فإننا نستطيع أن نقول إنها تعني: الإيمان بعقيدة الإسلام، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية[٣٨].

إذًا لنتساءل؛ ما المصادر التي تنهل منها الهوية الإسلامية؟ معلوم القرآن الكريم والسنة النبوية يعدان أهم مصدرين على الإطلاق في بناء الهوية الإسلامية. فالقرآن الكريم هو دستور المجتمع الإسلامي وبناء هويته، وكان ما شرعه مُحكَمًا وعامًا. وتعد السنة النبوية المصدر الثاني في بناء وترسيخ الهوية الإسلامية، فالسنة النبوية هي المنهج المفصل في تعاليم الإسلام وتطبيقه وتربية المجتمع عليه[٣٩].

أما مقومات الهوية الإسلامية فتتمثل في جملة من الركائز أهمها[٤٠]:

١. **العقيدة الإسلامية:** تشكل العقيدة الإسلامية أساسًا للهوية الإسلامية، فهي تشمل الإيمان بالله ورسله والكتب السماوية واليوم الآخر.

٢. **اللغة العربية:** تعد اللغة العربية أداةً أساسية في بناء هوية المسلم، فهي لغة القرآن الكريم ولغة التواصل بين المسلمين.

٣. **التاريخ المشترك:** يشكل التاريخ جزءًا أساسيًا في بناء الهوية الإسلامية، فهو يحتوي على الأحداث التي شكلت الأمة الإسلامية منذ بداياتها، ويمثل تراثًا ثريًا للمسلمين.

٤. **التراث:** يشمل التراث الإسلامي العديد من العناصر المختلفة، منها الأدب والشعر والفن والعمارة والعلوم والفلسفة وغير ذلك. ويمثل هذا التراث مصدرًا مهمًا للمسلمين لفهم تاريخهم وثقافتهم وتعزيز هويتهم.

٥. **التكوين الروحي والنفسي:** يتمثل التكوين الروحي والنفسي للفرد الإسلامي في تأسيس قيم الإسلام السامية في النفس والروح، وتطبيقها في حياته اليومية.

ومن هنا تجدر الإشارة إلى سؤال جوهري هو كيف نميز الهوية الإسلامية عن الهويات الأخرى؟ وبتعبير آخر ما السمات التي تتسم بها الهوية الإسلامية من خلال تحديدها الخارجي؟ في الجواب نقول: تتسم الهوية الإسلامية بجملة من السمات أهمها ما يأتي[٤١]:

١. تتسم بالوحدانية المطلقة لله.

٢. تجمع تحتها جميع من يؤمنون بها.

٣. تغطي حياة كل مسلم سواء أكان ملتزمًا دينيًا أم غير ملتزم.

٤. تسعى في تقديم نفسها إلى العالمية من حيث القيم والمبادئ الإنسانية.

ولعلنا نستطيع القول: أن الهوية الإسلامية هي هوية شاملة تغطي حياة الفرد والمجتمع من جميع المناحي الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية. وهي قاعدة ومعيار السلوك الفرد وأخلاقه في المجتمع ولا يمكن تجاوزها في أي ظروف كان وتحت أي ذريعة كانت.

المطلب الرابع: حول مفهوم الهوية اليهودية

تعد الهوية اليهودية من المفاهيم المعقدة التي لا يمكن تحديد مصادرها ومقوماتها وسماتها بدقة، لأنها تحمل في طياتها إشكاليات كثيرة منها متعلقة بالعرق والأثنية وآخر متعلقة بالعقيدة والدين وهذه الإشكاليات تحول دون تحديد الهوية اليهودية الجامعة التي يعرف من خلالها كل من يسمي نفسه باليهودي. وهذا الأمر خلق مشكلة واضحة في تعريف من هو اليهودي حتى في المجتمع الإسرائيلي

نفسه[٤٢]. فمن المنظور العرقي اليهودي هو من يولد من أم اليهودية بالتحديد، ويعد يهوديًا حتى لو غيّر عقيدته، ويؤكد المدافعون عن هذه الرؤية على ان اليهود يشكلون جنسًا مميزًا عن باقي الأجناس. أما من المنظور الديني فيعد يهوديًا كل من يؤمن بالديانة اليهودية فقط[٤٣].

ومن هنا نحن نركز على رؤى وطروحات المنظور الديني في تحديد الهوية اليهودية، فحسب رؤية المنظور الديني لا يمكن التفريق بين القومية اليهودية أو العرقية اليهودية والدين اليهودي كعقيدة وإيمان، فهم يصرون على أن هوية اليهود القومية مصدرها الدين، وأن ما حفظ وحدة اليهود كجماعة متميزة عن غيرها على مدى قرابة أربعة آلاف سنة هو الدين اليهودي[٤٤]. وحسب هذا المنظور فاليهود أمة مقدسة يكسب هويته من علاقته مع الرب، ومن رسالته الخالدة بين الشعوب الأخرى، وعليه تتشكل الهوية اليهودية من أساس ديني وأثنى معًا. لذلك يرون لا يوجد أي تناقض جوهري بين التعريف الأثني اللاديني والتعريف الديني للهوية اليهودية[٤٥].

إذً ما المصادر التي تقوم عليها الهوية اليهودية من الناحية الدينية؟ في الجواب نقول تستند اليهودية في تشكيل هويتها الدينية على مصدرين رئيسيين هما: العهد القديم والتلمود. ويتضمن المصدر الأول على ثلاثة مجموعات من الأسفار هي: المجموعة الأولى تشمل التوراة التي تتكون بدورها من خمسة الأسفار وهي سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاوين وسفر العدد وسفر التثنية. والمجموعة الثانية تشمل أسفار الأنبياء التي تنقسم إلى قسمين هما: أسفار الأنبياء المتقدمين وأسفار الأنبياء المتأخرين. والمجموعة الثالثة تشمل الكتابات والأسفار ومن أبرزها الزبور ونشيد سليمان وأيوب ودانيال ونحيميا وغيرها.

أما المصدر الثاني أي التلمود فيتكون من قسمين: القسم الأول يسمى المشناة وهي الأصل، وكلمة المشناة تعني التكرار أو الشريعة المكررة. والقسم الثاني يسمى الجمارا، وهي شرح للمشناة[٤٦].

وتقوم الأسس العقائدية للهوية اليهودية على المبادئ الآتية[٤٧]:

١. **المبدأ التوحيدي:** يشكل التوحيد أساسًا للهوية في الدين اليهودي، وهو يشمل الاعتقاد بوجود اله واحد خالق للبشرية والكون مسيطر على الطبيعة والتاريخ.

٢. **المبدأ التاريخي:** شكلت الاحداث التاريخية التي مرت بها الجماعة دورًا كبيرًا في تكوين الهوية اليهودية عبر التاريخ، والحقيقة أن الدين اليهودي هو نفسه الذي صنع الأزمات التاريخية للجماعات اليهودية فكل أزمة تاريخية تؤدي إلى تعميق الهوية اليهودية.

٣. **المبدأ الديني القومي:** يشير هذا المبدأ إلى اعتقاد اليهودية بأنها يمتلك إله واحد يختص بني إسرائيل فقط، ويرتبط هذا الإله بالقوم اليهودي في رباط خاص، فأصبح إلها قوميًا تهمه شؤون جماعته التي لا تعبد إلا هو ولا تسمح لغيرها من الديانات بعبادته.

٤. **مبدأ الانغلاق:** لا يهتم الدين اليهودي بالدعوة والتبليغ والتبشير بين الأديان والأمم الأخرى، فهو متمسك بالهوية القومية اليهودية ولا يقبل دخول الغير فيه.

ومن هنا يمكننا تلخيص سمات الهوية اليهودية على شكل الآتي [٤٨]:

١. تتسم بأنها هوية عملية أي أنها سلوك ونظام للحياة لكل من يؤمن بالديانة اليهودية.

٢. تتسم بكثرة فرائضها الواجبة (٦١٣ فريضة)، وعلى المؤمنين أن يعملوا بها.

٣. تتسم بأنها شديدة الإلتزام باله الاخاه (الشريعة اليهودية)، إذ لا يستطيع لليهودي الخروج منها أو الابتعاد عن تطبيقها.

٤. تتسم بالإيمان بأن الشعب اليهودي هو شعب الله المختار، فلا يتم خلاصه إلا بعودة المسيح المنتظر.

المبحث الثاني: الأصول الدينية للصراع الهوياتي بين فلسطين وإسرائيل

في هذا المبحث نحاول أن نسلط الضوء على الصراع الهوياتي الديني بين فلسطين وإسرائيل، والأسس الدينية التي يبني عليها الصراع، وعلى العلاقة المتبادلة بين أتباع الديانتين وموقف كل منهما نحو الآخر، ونحاول قدر الإمكان الاعتماد على النصوص الدينية والسلوك الذي انتهجه أتباع كل ديانة منهما ضد أتباع الديانة الأخرى.

المطلب الأول: موقف اليهودية من الإسلام

كان أول لقاء للمسلمين باليهود في عهد النبي محمد، وكانت العلاقة المتبادلة بين الطرفين في عهد مكة أقل نسبيًا من العلاقة في عهد المدينة المنورة، نظرًا لحقيقة مفادها أن عدد السكان اليهود كان أقل بكثير في مكة مقارنًة بالمدينة المنورة، إذ كان تعدادهم يتركز بشكل كبير في المدينة المنورة وخيبر. وبهذا لم يكن بإمكان النبي محمد الاتصال باليهود إلا عندما سافروا إلى مكة لأغراض تجارية[٤٩].

وقد أشعل اليهود الصراع مع الإسلام من خلال رفضهم نبوة النبي واعتقادهم الراسخ بأنه بعد أن ختمت صحف التوراة وكتب العهد القديم قد أنقضى عهد بعث الرسل وظهور الانبياء سواء أكانوا من بني إسرائيل أم من غيرهم[٥٠]. وزيادة على ذلك كان العديد من المعتقدات في كتبهم المقدسة تتناقض تمامًا مع ما أدخله الدين الإسلامي إلى حياة الناس، وتسبب ذلك في عدم الارتياح والحيرة بين اليهود، لذلك شعروا أنهم ملزمون بالدفاع عن دياناتهم واستنكار القواعد الجديدة التي أدخلها الإسلام[٥١]. وهذا مرده؛ أن الخوف من انصهار هويتهم في الدين الجديد كان خلف دفاع اليهود عن هويتهم الدينية، لأن الإسلام لن يدعو المشركين فقط إلى الدخول فيه، بل دعت أتباع الديانات السماوية منها اليهودية إلى الاعتراف برسالته والدخول فيه، ولكن اليهود رفضوا الدخول في الديانة الجديدة والاعتراف بها[٥٢].

فأشتد الصراع على الهوية بين الديانتين من خلال حرب كلامية شرع بها اليهود مع النبي محمد من أجل إظهار النبي بمظهر العاجز من مقارعة حججهم وكذلك من أجل بث روح التشكيك في نفس المؤمنين وصد الناس من الدخول إلى الإسلام وهناك أمثلة كثيرة سنتطرق إلى بعضها:

١. الطعن في نبوة النبي، وذلك من خلال وسائل متعددة منها: تصريحهم بأن محمدًا ليس هو النبي المنتظر، الذي بشرت به الكتب السماوية. وتصريحهم بأنهم ما تركوا الإيمان بمحمد حسدًا له، وإنما تركوا الإيمان به لأنه لم يأتِ بالمعجزات. ومحاولتهم إنكار أن يكون القرآن منزلًا من الله إلى النبي محمد[٥٣].

وكذلك مطالبتهم النبي ليذهب إلى سوريا، لكونها المكان الوحيد الذي يمكن فيه الكشف عن الوحي النبوي، وفقًا للقول اليهودي: "لا توجد النبوة خارج الأرض المقدسة"[٥٤].

٢. جدالهم مع النبي في شأن إبراهيم وملته، إذ يُصّر أحبار اليهود على أن إبراهيم ليس إلا يهوديًا[٥٥]. فأنزل الله فيهم: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[٥٦].

٣. جدالهم في نبوة عيسى: من المسائل التي احتدم فيها الجدل بين النبي وبين اليهود نبوة عيسى، إذ لا يعترف اليهود بنبوة عيسى، في المقابل يعترف الإسلام بنبوته وأنه من الرسل[٥٧]. فأنزل الله فيهم: إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ[٥٨].

٤. جدالهم في قضية النسخ، من الأمور التي اشتد فيها الجدال بين النبي وبين اليهود قضية النسخ، لقد أستنكر اليهود أن يبدل الله آية بآية، او حكمًا بحكم، وقالوا ألا ترون أن محمدًا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه[٥٩]. فأنزل الله فيهم: مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[٦٠].

٥. جدالهم في تحويل القبلة من البيت المقدس إلى الكعبة، لقد اقترح بعض اليهود إذا استمر النبي في مواجهة البيت المقدس فإنهم سيبايعونه، ويشكل هذا الاقتراح بالذات مثالاً على مواقف اليهود المهينة تجاه المسلمين آنذاك[٦١].

للوهلة الأولى يمكننا أن نفسر حقد اليهود نحو الإسلام من خلال حقدهم نحو غير اليهود (الأممي) بشكل عام، إذ إن هناك العديد من النصوص في كتبهم المقدسة (العهد القديم والتلمود) الذي يغذي حقد اليهود وكرههم نحو غير اليهود، لأن الأممين أعداء الله واليهود وهم بهائم لا رحمة في قتلهم بأي وسيلة[٦٢]. فقد جاء في التلمود: "إن اليهود أحب إلى الله والملائكة، وأنهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه، من يصفع اليهود كمن يصفع الله، والموت جزاء الأممي إذا ضرب اليهودي،... واليهود يفضلون الأممين كما يفضل الانسان البهيمة، والأمميون جميعًا كلاب وخنازير،... ويحرم على اليهودي العطف على الأممي لأنه عدوه وعدو الله، والتقية أو المدارة معه جائزة للضرورة تجنبًا لأذاه، وكل خير يصنعه اليهودي مع أممي فهو خطيئة عظمى، وكل شيْ يفعله معه قربان الله يثيبه عليه"[٦٣].

وقد أكد سفر اللاويين تميّز اليهود عن باقي الشعوب الأخرى، ولم يقف عند هذا الحد بل شجعهم على أن تكره الأمم التي كرهتها الله، وذلك بالقول: "لا تمارسوا عادات الأمم التي سأطاردها من أمامكم، لأنها ارتكبت كل القبائح، فكرهتها، ووعدتكم أن ترث ديارها، وأنا أهبكم إياها لتمتلكها، أرضًا تفيض لبنًا وعسلًا. فأنا الرب إلهكم، وميّزتكم عن بقية الشعوب"[٦٤].

وجاء في سفر التثنية أيضًا: "لأنكم شعب مقدس للرب إلهكم. فإياكم قد اختار الرب إلهكم من بين جميع شعوب الأرض لتكونوا شعبه الخاص. ولم يفضلكم الرب ويتخيركم لأنكم أكثر عددًا من سائر الشعوب، فأنتم أقل عددًا،... وتكونون مباركين أكثر من جميع الشعوب،... وتستأصلون جميع الشعوب الذين يسلمهم الرب اليكم، فلا تشفقوا عليهم ولا تعبدوا آلهتهم لأن ذلك شرك لكم"[٦٥].

أما فيما يخص موقفهم من الإسلام فقد نرى في كثير من نصوص الزوهار، وهو مصدر يهودي أساسي، يقال إن المسلمين على مر التاريخ كانوا أكثر من عذب اليهود، لذلك يستحقون الاحتقار. وقد تعاملت الأدبيات اليهودية مع الإسلام ونبيها بنظرة عدائية، وهناك نصوص كتبها رجال الدين اليهود مهمة لأنها تعكس وجهات نظر اليهود حول الإسلام والنبي محمد، إذ تصور هذه الكتابات النبي محمدًا كشخص مصاب بمرض عقلي وصرع، والإسلام كدين ملفق. ومن المثير للاهتمام أن رجال الدين اليهود لم يذكروا أسم محمد بشكل مباشر وعلني، ومن أجل إحتقاره، أستخدموا أسماء مثل محمود أو محمد أو محمداتي. واثنتان من أشهر الكلمات التي تحتقر النبي محمد هما "Pasul"، وتعني مضطرب و"Meşuga" وتعني منحرف أو مجنون. إضافة إلى الكلمات المذكورة سابقًا، وقد نجد بعض التهم الأخرى المهينة مثل الراعي، والمجنون، والشر، والمحتال، والملعون، وزيادة على ذلك، زعموا أن بعض الحكايات في القرآن قد انتقلت إلى النبي محمد من قبل اليهود، وأن النبي قد ارتكب سرقة أدبية من الكتب المقدسة السابقة في أثناء إملاء القرآن، وبناءً على ذلك لا يمكن أن يكون القرآن وحيًا إلهيًا[٦٦]. حتى إن بعض العلماء جادلوا بأن محمد (الرسول) كان لديه معلمون يهود زودوه بأساسيات دينه[٦٧].

ومن هنا يتبين لنا أن عاملين رئيسيين هما الشعور بالتميّز عن الآخرين والشعور بالأخطار الخارجية كانا لهما الفضل في تكوين الهوية الدينية اليهودية، ويتضح ذلك أكثر من خلال النموذج الفكري (Paradigma) الذي من خلاله ينظر اليهودي إلى الغير ويقيس عليه الآخرين، فهذا النموذج يؤسس على الحقد نحو غير اليهود والسعي إلى السيطرة عليهم وإذلالهم إذ كانوا أقوياء عليهم، أما في حال عجزهم أمام الأمم الأخرى فيجيز لهم أن يتعاملوا معهم ويسايروهم للمحافظة على أنفسهم وتجنبًا لشرورهم، لأن جميع الشعوب الآخرى مفسدون وأعداء الله (في نظرهم).

المطلب الثاني: موقف الإسلام من اليهود واليهودية

من الواضح أن القرآن الكريم يتحدث كثيرًا عن اليهود، ويستخدم عددًا من الأسماء المختلفة للإشارة إليهم. وأكثر هذه الأسماء شيوعًا هو "بني إسرائيل"، الذي يشير غالبًا إلى بني إسرائيل القدماء في روايات القصص التي لها تشابهات واضحة في العهد القديم، ويمكن أن يشير الاسم أيضًا إلى اليهود الذين يعيشون في وقت معاصر للقرآن. وبالتوازي مع هذا الاسم هناك أسماء أخرى مثل: "قوم إبراهيم"، و"قوم موسى"، و"اليهود"، و"اليهودي". إن هذا العدد الكبير من الإشارات إلى اليهود وأسلافهم، يكشف عن المكانة المهمة التي احتلها اليهود في المنطقة التي ظهر فيها القرآن (الجزيرة العربية). لذلك لا يستطيع القرآن أن يتجنب اليهود، ولا يرغب في ذلك، ولكن الغالبية العظمى من الإشارات القرآنية إلى اليهود تندرج في الفئة السلبية [٦٨].

تبدأ الإشارات السلبية من انتقاد اليهود بشدة واتهامهم برفض أنبيائهم المرسلين من الله، بل حتى بالذهاب إلى حد قتل العديد منهم، وكذلك اتهامهم بتحريف التوراة لفظًا ومعنى وحذفًا[٦٩]، وورد في القرآن آيات عديدة تؤكد تحريف التوراة منها قوله تعالى: "أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ

كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ"(٧٠). وقوله تعالى: "وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ"(٧١).

وفي القرآن آيات كثيرة تتحدث عن أخلاق اليهود وصفاتهم، لقد ربطت هذه الآيات في الأكثر بين أخلاق اليهود المعاصرين للنبي في الحجاز وبين أخلاق آبائهم الأولين على نحو يصح أن يقال إن هذه الأخلاق ليست خاصة بمن هم في الحجاز، وإنما هي جبلة راسخة متوارثة من الآباء والأجداد(٧٢). فمن خلال القرآن نتعرف على هوية اليهود السيئة، إذ يصفهم القرآن بجملة من الرذائل سنعرضها إجمالًا مع ذكر الآيات الكريمة(٧٣):

أولًا: خلق النفاق: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ"(٧٤).

ثانيًا: الكذب على الله ونقض مواثيقه: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ"(٧٥).

ثالثا: عصيان الله: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ"(٧٦).

رابعًا: تحريف الحقائق والحق بما تملي أهواؤهم: "وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ"(٧٧).

خامسًا: مكابرة وافتراء على الله: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ"(٧٨).

سادسًا: الخديعة والتضليل: " وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"(٧٩).

سابعًا: خلق الظلم والعدوان: "وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ"(٨٠).

ثامنًا: الغدر والاجرام: "لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ"(٨١).

تاسعًا: خلق الفساد في الأرض: "كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ"(٨٢).

عاشرًا: قساوة القلوب: "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ"(٨٣).

إن هذه الآيات تبدو وكأنها تمثل ردودًا على الاستنكار والازدراء الذي أصبح الدين الجديد عُرضة له والشكوك التي تثار حول حقيقة الوحي وصدق رسوله وعقيدته(٨٤). ولذلك القرآن، مثله كمثل العهدين القديم والجديد، يهاجم بشدة كل أولئك الذين يعارضون سلطته والمجتمع الذي يمثله(٨٥).

وعليه إن الدين الإسلامي منذ ظهوره حاول تشكيل هوية فريدة به واجتهد لتذويب الهويات الدينية الأخرى وطمس معالمها في بوتقة الهوية الإسلامية تارة بصورة سلمية أو بحد السيف تارة أخرى، على أساس أن الإسلام هو الأصل العالمي الذي على البشرية كلها أن تفيء إليه، أو أن تسالمه بجملتها فلا تقف لدعوته بأي حائل من نظام سياسي، أو قوة مادية، وأن تخلي بينه وبين كل فرد، يختاره أو لا يختاره بمطلق إرادته، ولكن لا يقاومه ولا يحاربه فإن فعل ذلك أحد كان على الإسلام أن يقاتله حتى يقتله أو حتى يعلن استسلامه(٨٦). ولخص ابن القيم هذا الموضوع حين قال: "فأمر تبارك وتعالى النبي أن يقرأ... وأرسل بـ: "يا أيها المدثر"، ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين، ثم أنذر قومه، ثم أنذر من حولهم من العرب، ثم أنذر العرب قاطبة، ثم أنذر العالمين... ثم أمره أن يقاتل من قاتله، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله... ولما نزلت سورة براءة أمره الله أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، أو يدخلوا الإسلام" (٨٧).

وبناءً على ما سبق؛ يحاول الإسلام تشكيل هوية دينية جامعة للبشرية جمعاء، على أساس وحدانية الله وعبودية الإنسان لله والخضوع لأحكام شريعته، وكل من يخالف الله ويخضع لغير شريعته يعد خارجًا عن الدين ومن ثم يفقد الهوية الإسلامية، وبذلك صار اليهود مشركين ومخالفين لما أمروا به من الله. ومن هنا نستطيع القول؛ أن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي هو ذو أصل ديني، أي أنه صراع الهوياتي الديني يعود في جذوره إلى بدايات ظهور الإسلام والنزاعات التي برزت بين ديانتين حول كثير من المسائل المتعلقة بالله واليوم الآخر ونبوة النبي والديانات السابقة للإسلام وغيرها.

المبحث الثالث: الهوية الدينية كعائق أمام حل الدولتين

يتحكم الصراع الهوياتي الديني بين اليهودية والإسلام في مجمل المشاكل التي يتشكل منها الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ومن أبرزها؛ مشكلة القدس، والاستيطان اليهودي، وعودة اللاجئين الفلسطينيين، ورفض تشكيل الدولة الفلسطينة، وعدم الاعتراف بالدولة الإسرائيلية من قبل الفلسطينين، وغيرها. ومن هنا نركز على دور الهوية الدينية في منع قيام الدولة الفلسطينية من قبل إسرائيل، ورفض الاعتراف بالدولة الإسرائيلية والسعي لإزالتها من قبل الفلسطينيين.

المطلب الأول: منع قيام الدولة الفلسطينية من قبل إسرائيل

تعد قدسية أرض إسرائيل الكبرى، وواجب الاستيطان فيها وممارسة السيادة عليها النظرة اللاهوتية المنتشرة بين اليهود الإسرائيليين، لأن أرض إسرائيل بأكملها هي أرض مقدسة (أرض الميعاد) والإيمان الديني يمنع التنازل عن أي شبر منها. ومن وجهة النظر اليهودية، فالواجب الديني يقضي أن تستقر اليهود في جميع أنحاء الأرض(٨٨). ويعتقد اليهود أن الإله وعد إبراهيم وعاهده على أن تكون هذه الأرض

لنسله إلى يوم الدهر، وسيعود إليها تحت قيادة المسيح المخلص. وذكر هذا الوعد في جملة من الإصحاحات في أسفار العهد القديم منها: "وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: "اتْرُكْ أَرْضَكَ وَعَشِيرَتَكَ وَبَيْتَ أَبِيكَ وَاذْهَبْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ، فَأَجْعَلَ مِنْكَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً (لِكَثِيرِينَ). وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ وَأَلْعَنُ لاعِنِيكَ، وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ"[٨٩]. وذكر في السفر نفسه: "ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَتَلَفَّتْ حَوْلَكَ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، فَإِنَّ هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَرَاهَا سَأُعْطِيهَا لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ إِلَى الأَبَدِ"[٩٠]. وذكر أيضًا: "أَنَا هو الرَّبُّ الَّذِي أَتَى بِكَ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لأُعْطِيَكَ هذِهِ الأَرْضَ مِيرَاثًا"[٩١]. وذكرت في إصحاح أخر: "وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ"[٩٢].

فهذه الوعود التوراتية التي شكلت عقيدة اليهود جميعًا، واستغلتها الحركة الصهوينية اليهودية في إقامة الوطن القومي لليهود وأعلن زعماء الصهوينية إيمانهم المطلق بتلك الوعود (...) هذا الوعد بوراثة الأرض رأى فيه الشعب اليهودي جزءًا من ميثاق دائم تعاهدوا مع إلههم على تنفيذه وتحقيقه[٩٣]. ولسنا هنا في محل نقاش حول مدى صحة هذه النصوص وعدم صحتها، ولكن الشاهد أن تفعيل هذه النصوص أنشأ دولة، وهو انعكاس لمدى تأثير الأصولية اليهودية في مجال السياسي. وهذا يعكس أمرًا آخر هو مدى براجماتية الأصولية اليهودية؛ إذ تحالفت مع الحركة الصهوينية العلمانية، التي هي على نقيض تام منها[٩٤].

ويحتوي المشروع الصهيوني على تبني فكرة الدولة اليهودية وتجسيدها فيما بعد على أسطورة تاريخية وهي؛ أن الدولة الإسرائيلية امتداد للدولة اليهودية السحيقة التي جرى تدميرها قبل ألفي عام. وأن الحركة الصهوينية التي ظهرت بعد هذه السنوات الطويلة ما هي إلا محاولة دؤوبة لإعادة إحياء هذه الدولة، فإن الدولة اليهودية بحسب هذه الرؤية، لم تبدأ من الصفر، بل أن عهد الدولة اليهودية الجديدة يمثل استمرارًا تاريخيًا لدولة اليهود القديمة. ومن هنا جاءت الدعوات من الجماعات اليهودية كافة في العالم للهجرة إلى فلسطين والعودة إلى أرض الشعب اليهودي (أي فلسطين)، فقد جرى إبعاده عن أرضه وإجباره على الحياة لقرون طويلة في الشتات بعيدًا عنها[٩٥].

وتضمنت الفكرة التي تبنت عليها الدولة الإسرائيلية الكثير من الأفكار التوراتية في إطار الأسطورة والسلطة، فمن الناحية الأسطورية تضمن النظام السياسي الأفكار التي تصف اليهود بأنهم شعب الله المختار والمقدس، المكلف المقتدر له أن يقوم بدور الأساس في خروج المسيح المخلص بمشيئة الله. لذلك إن القيام بالمناسك الدينية وفق الشريعة اليهودية، بضمنها الحج إلى أورشليم بانتظام وتقديم الأضاحي إلى الهيكل، من الأمور التي لابد منها إذا كان لشعب إسرائيل أن يرث الأرض التي وعد بها وأن يستمد عيشه وبقاءه منها. ومن ناحية اللاهوت السياسي تضمن النظام فكرة مفادها؛ إن الهيمنة الحصرية لليهود على السلطة على أرض إسرائيل كلها (حسب اعتقادهم تتضمن أرض إسرائيل جميع أراضي فلسطين والأردن وأجزاء من لبنان وسوريا) قد يعجل بعملية الخلاص التاريخية بحسب أصول الشريعة اليهودية[٩٦].

وكما أشرنا فإن الله هو الملك الأعلى على الأرض وهو الذي رسم أرض كنعان ووعدها لنسل إبراهيم، الذين هم بنو إسرائيل. ويجب تسوية الأرض (التي تقع حدودها القصوى محل نزاع) ويجب عدم التخلي عنها. تتكون وصية تسوية الأرض من جزأين: وصية عامة تدعو شعب إسرائيل بأكمله إلى غزو أرض إسرائيل واستقرارها، ووصية شخصية تلزم كل شخص بالعيش في أرض إسرائيل، وهناك خلاف حول هذه الوصية هل تنطبق اليوم أم لا؟ ومصدر الوصية بتسوية أرض إسرائيل هو الآية "لأَنَّكُمْ عَابِرُونَ الأُرْدُنَّ لِتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الأَرْضَ الَّتِي الرَّبُّ إِلهُكُمْ يُعْطِيكُمْ. تَمْتَلِكُونَهَا وَتَسْكُنُونَهَا"[٩٧]، أي أن تملكها أو لا تملكها ثم تستقر فيها. ويكشف التحليل التاريخي لوجهات نظر حكماء الدين حول واجب توطين الأرض عن تغيير في التفسير وفقًا للتطورات السياسية المتغيرة، وبعبارة أخرى، تعتمد الوصية بتسوية الأرض على السياق التاريخي، وهناك رأي يرى أن وصية توطين الأرض تتحقق من خلال ممارسة السيادة عليها[٩٨].

ويستنتج من ذلك أن جل تفكير اليهود وزعمائهم منصب على تشكيل دولة على أرض إسرائيل (أي فلسطين)، وإحكام السيطرة والهيمنة على أراضيها وأهاليها؛ ومن ثم التحرك نحو تجميع اليهود من جميع أنحاء المعمورة فيها، إنهم يمهدون بذلك لقدوم المسيح المخلص (بحسب إعتقادهم) حتى يبدأ في إجراء مهمته التي هي الخلاص إلى شعب الله المختار (أي اليهود)، لذلك ربطت الحركة الصهيونية فكرتها عن الأمة بفكرة السيادة في الدولة، ولتنفيذ هذه الفكرة تساعد وتشجع على التوسع في الاستيطان كعمل له أهداف وأبعاد دينية[٩٩]. وقد لوحظ مما ذكر آنفًا أن تفكير اليهود تجاه هذه الأرض يختلف بالضرورة عن موقفه تجاه أي أرض أخرى. وقد يضطر إلى العيش في أراض أخرى بدعم من الحراب، لكن هذا قد يكون شيئًا لا يستطيع كيهودي مساعدته. ولكن عندما يذهب طوعًا كيهودي لإعادة توطين وطنه اليهودي، يكون ذلك بفعل الإرادة والإيمان والاختيار الحر، ولا ينبغي له إما أن يرغب أو يؤمن أو يريد وطنًا يهوديًا لا يمكن الحفاظ عليه على المدى الطويل إلا إذا تم إجلاء سكان فلسطين من غير اليهود. وفي هذا الصدد، فقد حدث التطهير العرقي لسكان فلسطين في أثناء تأسيس دولة إسرائيل، ما فتئت أراضي إسرائيل تتوسع باستمرار على حساب الفلسطينيين[١٠٠].

فقد قال بن غوريون، أول رئيس وزراء إسرائيل في مقدمة كتابه "تاريخ الهاجاناه": "في بلادنا لا يوجد مكان إلا لليهود، سنقول للعرب اخرجوا من هنا، وإذا أبدوا أية مقاومة فإننا سنخرجهم بالقوة"[١٠١]. أما الجنرال موشي ديان فيقول في صحيفة (الجورزاليم بوست) الصادرة في يوم (١٠ أغسطس/ آب) عام ١٩٦٧: "إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فمن الواجب أن نمتلك جميع الأراضي التوراتية"[١٠٢].

حتى إن هرتزل* يستخدم لغة عدوانية تمامًا من خلال مقارنة السكان الأصليين في فلسطين بـ "الدببة" ويقترح؛ "تنظيم مطاردة كبيرة وممنهجة، وجمع الوحوش معًا وإلقاء قنبلة كبيرة في وسطهم" للتخلص منهم. فإن وعد الله بالأراضي الفلسطينية لليهود، ومنحه الحق للعيش فيها (وفي بقية أرض الميعاد)، لا يتحقق إلا من خلال إجلاء الآخرين، الذين تصادفهم مسلمين بشكل أساسي[١٠٣].

إن تصورات الأصوليين اليهود للعالم تستحيل عليهم أن ينظروا إلى اليهود والفلسطينيين بالعين نفسها. ولأنهم إن فعلوا ذلك كانوا كمن يناقض النبوءة القائلة إن أرض الميعاد سوف "تلفظ" كل شعب آخر يحاول العيش فيها. وأنه عند عودة اليهود فحسب "تنبت الأرض فروعًا وتثمر" دلالة على بداية العصر المسيحاني (...) أما الفلسطينيون فلا حق شرعيًا لهم على الاطلاق في ادعاء المواطنة أو المطالبة بأية قطعة من البلد. وهم لم يعانوا أية آلام حقيقية ولم يتكتلوا في كيان واحد إلا من جراء معاداتهم اليهود، وكفاحهم كفاح انتحاري للقضاء على دولة إسرائيل وشعبها، ولما كانوا كذلك وجب على أن تكون إسرائيل مستعدة للقضاء عليهم إذ يسعون لتلبية "رغبتهم في الموت" الجماعي[١٠٤].

بالنسبة الأصوليين اليهود، بشر احتلال الأجزاء التاريخية من أرض إسرائيل (بحسب إعتقادهم) خلال حرب الأيام الستة في يونيو ١٩٦٧ بعصر جديد. تمت الإشارة إلى المناطق المحتلة في الضفة الغربية بالأسماء التوراتية (يهودا والسامرة)، واستعيض عن اسم دولة إسرائيل بعبارة أرض إسرائيل[١٠٥]. ويعبر الأصوليون روابطهم الحميمة مع الأرض بالقول: "إن ارتباط إسرائيل الوطني بأرض إسرائيل ارتباط فريد لا نظير له بين الأمم فهو يختلف اختلافًا جذريًا عن الروابط التي تربط الفرنسيين والإنكليز والروس والصينيين كل شعب منهم بأرضه، فأرض إسرائيل بالنسبة إلينا هي أرض قدرنا، أرض مصطفاه، لا مجرد وطن"[١٠٦]. لذلك نجد أن التعلق النهائي بأرض إسرائيل، بكاملها هو في صميم نظرة الأصوليين اليهود إلى العالم، التي تستند إلى إعتقاد مفاده؛ كان العهد بين الله واليهود قائم على علاقة ثلاثية: الله والأرض والشعب، فالأرض مقدسة لأن الله اختارها مقامًا له واختار أن تقيم معه اليهود عليها[١٠٧]. لذلك لا يمكن التخلي أو التفريط في أي قطعة من أرض إسرائيل، لأن كل أنواع من التفريط في الأرض تتناقض والمقتضيات التي قضاها الله على الشعب اليهودي بأن يرث الأرض، وهذا بدوره يؤخر عملية الخلاص، لا خلاص إسرائيل وحدها بل خلاص العالم بأسره[١٠٨].

إن النظرة السائدة في الحركة الأصولية اليهودية هي أن مهمة هذا الجيل هي بسط السيطرة اليهودية الدائمة على يهودا والسامرة وقطاع غزة والجولان. وبحسب إعتقادهم يعد كل الأراضي المشار إليها أراض إسرائيلية لا يمكن اختزاله من أجل تحقيق الغاية الصهوينية، والقيام بفرائض الاستيطان وميراث الأرض والتقدم في عملية الخلاص. أما التطلعات إلى توسيع الحكم اليهودي على سيناء وأجزاء من لبنان ومعظم الضفة الشرقية (أي الأردن) فيجب ألا تنسى، ربما سنحت لها الفرصة يومًا لأن تؤخذ في عين الاعتبار السياسي جديًا[١٠٩]. ويفسر ذلك المبدأ الأصولي، أسباب إصرار الساسة في إسرائيل على إفشال أي محادثات سلام مع الفلسطينيين، وتوسعهم في عمليات الاستيطان، وإصدار تشريعات بيهودية إسرائيل*، وعدم منح الفلسطينيين أي حقوق لهم، وهنا يبرز مدى التأثير الأصولي اليهودي في الصراع السياسي، وإصرارهم على ابتلاع كامل للأراضي المجاورة لهم[١١٠].

إن تشريع يهودية الدولة يأتي من أجل تثبيت الحق التاريخي لليهود في أرض إسرائيل (أي فلسطين)، وإلغاء وجود أي حق تاريخي للشعب الفلسطيني في فلسطين، وتوسيع عملية الاستيطان وتهويد

الأراضي على حساب الشعب الفلسطيني (...) تسعى إسرائيل إلى اعتراف دولي وعربي وفلسطيني بيهودية الأرض، والديموغرافيا، والدولة، وهدفها الأساس في هذا المسعى هو طرد الفلسطينيين، وحرمان اللاجئين من حق العودة، والقضاء على ما تبقى من إمكان إقامة دولة فلسطينية مستقلة[١١١]. وفي هذا الإطار تعد كل الحجج الداعية إلى مقايضة الأرض بالسلام، باطلة ولا طائل فيها، فينبغي على العالم كله أن يفهم العقيدة السياسية لإسرائيل وهي في الأساس تستند إلى العقيدة اليهودية إذ ترى أن حق اليهود في الأرض كلها لا يتعلق باعتبارات متغيرة في جوهرها، أو ظرفية كالضرورات الأمنية أو الاقتصادية أو الديموغرافية. بل يتعلق بأرض الميعاد التي يجب فتحها وامتلاكها والاستيطان فيها وحكمها، في وجه معارضة العرب والأمم الأخرى[١١٢].

ومن هنا نصل إلى الاستنتاج الآتي هو؛ أن السبب الرئيس لمعارضة الدولة الإسرائيلية لقيام الدولة الفلسطينية له علاقة وثيقة بالهوية الدينية اليهودية. بمعنى أن الرفض ليس سياسيًا فحسب، بل له علاقة بصورة مباشرة بالديانة اليهودية التي لا تسمح لأي شعب أو دين آخر بالعيش على أرض فلسطين غير اليهود، وعليه كيف تسمح بإنشاء دولة خاصة بالفلسطينيين على أرض الميعاد (بحسب رؤيتهم)؟ لذلك يمكننا القول: على الرغم من وجود العديد من المعوقات السياسية والاقتصادية والديموغرافية، فأن عامل الهوية المتمثل بالهوية الدينية اليهودية تشكل العائق الأكبر أمام إقامة الدولة الفلسطينية، لأنه لو سمحت دولة إسرائيل بقيام الدولة الفلسطينية لكان ذلك بمنزلة ابتعادها عن العقيدة والقيم اليهودية، وإنكار للوعد الإلهي الذي قطعه الله لبني إسرائيل. في حين أن أي اعتراف بالدولة الفلسطينية يعد انتهاكًا لقانون هوية الدولة وتقويضًا سافرًا ليهودية دولة إسرائيل.

المطلب الثاني: عدم الاعتراف بالدولة الإسرائيلية والسعي لإزالتها من قبل الفلسطينيين*

تحتل فلسطين مكانة رفيعة في الإسلام، وهي أرض مقدسة بنص القرآن الكريم، قال الله تعالى: "يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ"، وإنها أرض الأنبياء ومبعثهم عليهم السلام، ولذلك فإن المسلمين عندما يقرؤون القرآن يشعرون بارتباط عظيم بينهم وبين هذه الأرض، إذ تضم المسجد الأقصى الذي يُعد ثاني مسجد وُضع في الأرض بعد المسجد الحرام. وكان هذا المسجد القبلة الأولى التي توجه إليها المسلمون في صلاتهم نحو ما يزيد عن ستة عشر شهرًا بإمامة النبي محمد. ويحتل المرتبة الثالثة في القدسية بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي. وردت أحاديث ترشد إلى فضل زيارته وشد الرحال إليه، إذ تضاعف الصلاة فيه أجرًا عظيمًا يعادل خمسمائة صلاة فيما سواه من المساجد. وفيها مسرى النبي، حيث أسري بالنبي من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس، ثم عُرج به إلى السماوات، قال تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ". وفي القدس أبرز معالم الحضارة الإسلامية التي تركت بصمات لا تنسى فيها مازالت ماثلة أمام التاريخ كالحرم القدسي الشريف والمسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة والجامع العمري وحائط البراق[١١٣].

ويتنازع الإسرائيليون والفلسطينيون حول أحقية كل منهما في السيادة على أرض فلسطين استنادًا إلى ادعاءات تاريخية ودينية. فمن جانبهم، يستند الإسرائيليون إلى الوعود الإلهية الواردة في العهد القديم إذ تُعد أساسًا لشرعيتهم، والرواية التاريخية عن تهجيرهم قسرًا من المنطقة قديمًا، بإضافة إلى الارتباط الروحي المستمر بالأرض عبر العصور كعنصرٍ جوهري في الهوية اليهودية[١١٤]. أما الجانب العربي الفلسطيني فيُعد كامل أرض فلسطين أرضًا مقدسة، ويؤكد قدسية كامل أرض فلسطين لأنها فُتحت على يد أتباع النبي محمد، الذين بذلوا أرواحهم في هذه العملية. ووفقًا لرؤيتهم فهذه الأراضي، منذ لحظة استيلاء الجيش الإسلامي عليها، أصبحت أراضٍ إسلامية، وبعد أن احتلها الأجانب (اليهود)، وجب تحريرها عبر الجهاد، وهو واجب شخصي على كل مسلم في كل مكان أن يعمل من أجل هذه الغاية[١١٥]. وقد جاء الربط بين المساجد الثلاثة في شدّ الرحال إليها لبيان أن التخلي عن القدس والمسجد الأقصى يماثل التخلي عن مكة والمسجد الحرام والمسجد النبوي. وتخضع القدس والأقصى لما ينطبق على أرض فلسطين لكونها وقفًا إسلاميًا يظل ملكًا للمسلمين أجمعين حتى يوم القيامة، فهذه الأرض لا يجوز بيعها أو منحها أو توريثها، ولا يحق لأي حاكم التصرف فيها أو التنازل عنها. ويُعد كل اتفاق ينقل ملكية هذه الأرض إلى الاحتلال اليهودي باطلًا في ذاته، لا شرعية له ولا تأثير في ملكية المسلمين، ولا يُلزمهم دينيًا أو ماديًا، بل يجب العمل على إبطاله واستئصاله[١١٦]. ويبرر العرب والفلسطينيون هذا الموقف باحتلال اليهود أرض الإسلام وتشريدهم أهلها، وفرض أنفسهم بالقوة، لذلك سيظل المعركة معهم قائمة ما دامت الأسباب قائمة[١١٧]. وهذه المعركة لا يمكن النصر فيها إلا باعتماد مفهوم للهوية يتجسد عبر خطاب ثقافي واضح وسهل الاستيعاب، ومُدمَج ضمن سياق تاريخي معروف، ليصبح قابلاً للفهم. وهذا بالضبط ما وفره الإسلام وحده[١١٨].

ويؤكد الدكتور يوسف القرضاوي، أن الصراع الجاري بين العرب واليهود هو صراع ذو طابع ديني، لأن دوافعه وأهدافه دينية في الأساس، ويرى أن المعركة التي اندلعت من هذا الصراع هي معركة دينية قامت في سبيل الله ضد الظلم والباطل من أجل إحلال الحق وإقامة العدل، لذلك يرفض كل المساعي للمصالحة وفق مبدأ (الأرض مقابل السلام وحل الدولتين)، ويدعو إلى استمرار هذه المعركة ومشاركة جميع المسلمين فيها حتى تحقيق هدفها الذي هو زوال إسرائيل في أرض النبوات، ووراثة الأمة الإسلامية فيها، لأن وجود هذه الأمة على هذه الأرض هو الوجود الشرعي الوحيد (بحسب رأيه) الذي أقره الله ورسوله[١١٩].

وهناك من المسلمين مَن يقول: "إن الله جمع اليهود في فلسطين، لا لتكون وطنًا وأرضًا لهم، بل لتكون مقبرة لهم، حتى يتحرر العالم كله من هذا الوباء. كما يحج المؤمنون لتكفير عن خطاياهم بتقديم أضحية في مكة، كذلك سيُضحى باليهود في الأقصى بأيدٍ طاهرة مثل أيدي الحجاج"[١٢٠].

وشكّلت الهجرة اليهودية إلى فلسطين والاستيطان فيها قبل قيام إسرائيل حافزًا لبروز حراكٍ إسلامي، إذ عملت مؤسسات كـ"المجلس الإسلامي الأعلى" على توظيف الدين لتعزيز الهوية الإسلامية للقضية الفلسطينية. ويتمثّل ذلك في تحريض الفلاحين ضد الصهيونية واليهود معًا، وتحريم بيع الأراضي لليهود،

وإصدار فتاوى شرعية ضد المتعاونين معهم. كما جُعِلت المساجد منصاتٍ للدعوة إلى الجهاد، وتحذير المجتمع من "الخطر اليهودي"، وربط التعاون معهم بـ"خيانة الوطن والأقصى"، وهذا ما أسهم في تشكيل رواية مقاومة دينية موحدة[١٢١]. واستند هذا التوجه إلى مرجعية دينية إسلامية تستقي شرعيتها من نصوص القرآن والسنة، لترسيخ قدسية فلسطين كـ "وقف إسلامي" غير قابل للتفريط أو البيع. وجُعِلت الأرض ملكية جماعية للمسلمين، يحظر نقل ملكيتها لغير المسلمين أو التصرف فيها إلا بإعادتها لحالة السيادة العربية والإسلامية التي كانت عليها في عصور الازدهار، وهذا ما شكَّل رؤيةً دينيةً مُلزمةً للحفاظ على هويتها ومواجهة كل المحاولات القائمة للسيطرة الخارجية[١٢٢].

وتعد الفتاوى المتلاحقة بشأن القضية الفلسطينية عمومًا والقول بأرض فلسطين كوقف إسلامي، محورًا بارزًا في الأدبيات الإسلامية المعاصرة التي تعرض فلسطين بوصفها جزءًا من عقيدة المسلمين والوجدان الإسلامي، وملكًا للأمة الإسلامية كلها، ولا يحق لأي شخص أو شعب من الشعوب الاعتراف بالوجود الإسرائيلي عليها لتحريمه شرعًا[١٢٣]. عندما ننظر إلى مضمون فيضان الفتاوى الصادرة من قبل علماء المسلمين في فلسطين والعالم الإسلامي نجد أن الأغلبية منها تدعو إلى جملة من الأمور التي تتناقض والتسوية السلمية للقضية الفلسطينية من ضمنها حل الدولتين، ومن أبرز تلك الأمور:

١. تحريم التنازل عن أرض فلسطين، هناك فيض من الفتاوى التي تحرم تنازل عن شبر من أرض فلسطين منها: الفتوى التي صدرت في مؤتمر علماء فلسطين الاول المنعقد في القدس بتاريخ ٢٦/ كانون الثاني١٩٣٥ أجمعت العلماء على تحريم بيع الأرض في فلسطين لليهود، وتنص الفتوى على أن أي عملية بيع وشراء وسمسرة لأرض فلسطين حرام، وتؤدي إلى الكفر والارتداد عن دين الإسلام[١٢٤]. وفتوى أخرى صادرة من الأزهر في كانون الثاني ١٩٥٦، أجمع فيها العلماء على وجوب التعاون بين المسلمين على خلاف ألسنتهم والوانهم وأجناسهم لأجل الحفاظ على الهوية الإسلامية لفلسطين وتطهيرها من المعتدين[١٢٥]. ووقع أيضًا (٦٣) عالم دين في كانون الأول ١٩٨٨ على فتوى بعنوان "تحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين"، إذ تنص على عدم جواز الاعتراف بأي حال من الأحوال لليهود بشبر من أرض فلسطين[١٢٦]. وفي فتوى آخر تحمل عنوان "جهاد اليهود وقتالهم فرض" صادر عن الدكتور يوسف القرضاوي تفرض على جميع المسلمين أن لا يقبلوا بالتنازل عن شبر من أرض دار السلام[١٢٧]. وجاءت في فتوى تحت عنوان "ثوابت في قضية فلسطين" صدرت من قبل الدكتور محمود مزروعة الذي هو أحد رموز علماء الأزهر، أن أرض فلسطين المباركة، هي أمانة ووديعة الله لنا كنحن المسلمين وهي قدر الله لنا، فليس لأحد التفريط بشبر أو ذرة رمل واحدة من رمالها لغير المسلمين[١٢٨].

٢. عدم جواز الصلح مع إسرائيل وعدم الاعتراف بها، وفيما يتعلق بالمصالحة مع إسرائيل والاعتراف بها، نجد الكثير من الفتاوى التي تحرص على عدم جواز عقد الصلح مع إسرائيل وتحرم الاعتراف بها*، ومن أبرزها: الفتوى التي صدرت من قبل لجنة الفتوى التابعة للأزهر في سنة ١٩٥٦، إذ تنص على عدم جواز الصلح مع إسرائيل من الناحية الشرعية، وعدم جواز الاعتراف بحقية إسرائيل على اغتصاب أرض

فلسطين، لأن ذلك يحث الغاصب على الاستمرار في غصبه، وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه[١٢٩]. وصدر في سنة ١٩٩٧ فتوى من لجنة علماء الأزهر تتضمن عدم الجواز المسلمين أن يتصالحوا مع اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين واعتدوا على أهلها وعلى أموالها[١٣٠]. وهناك العديد من الفتاوى الصادرة عن علماء الأزهر التي تحرم تطبيع العلاقات مع إسرائيل ومن أبرزها؛ فتوى الشيخ جمال القطب، الذي يحرم شرعًا التطبيع مع إسرائيل طالما بقيت على سياساتها الحالية. وفتوى الدكتور طه حبيشي، الذي يرى أن طرح التطبيع مع إسرائيل مخالف لجميع النصوص الشرعية في الإسلام. وفتوى الشيخ جواد رياض، الذي يؤكد أن التطبيع مع إسرائيل أمر رفضه الإسلام من جميع النواحي[١٣١].

٣. تشجيع المسلمين على الجهاد وإزالة إسرائيل من الوجود، فعندما ننظر إلى الفتاوى التي صدرت حول فلسطين قبل تشكيل الدولة الإسرائيلية وبعدها بالكاد نجد فتوى تخلو من دعوة الجهاد والسعي إلى إزالة إسرائيل من الوجود. لذلك بإمكان دارسي الفتاوى حول القضية الفلسطينية الجزم؛ بأن دعوة الجهاد وتدمير إسرائيل تشكل المادة الرئيسية لأغلبيتها الساحقة. ومن هنا نكتفي بالإشارة إلى بعض منها: في سنة ١٩٤٨ صدرت من علماء الأزهر فتوى ضد قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في سنة ١٩٤٧ القاضي بتقسيم فلسطين، فقد دعى العلماء جميع أبناء الأمة العربية والإسلامية إلى الجهاد في سبيل حماية فلسطين وهويتها العربية الإسلامية[١٣٢]. وفي السنة نفسها صدرت فتوى من قبل مفتي الديار المصرية، الشيخ حسنين محمد مخلوف، التي يحرص فيها على أن الجهاد بالنفس والمال لإنقاذ فلسطين واجب شرعًا على جميع أهل الدول الإسلامية[١٣٣]. وعندما أندلعت الحرب بين العرب وإسرائيل في سنة ١٩٤٨، أصدر شيخ الأزهر، الشيخ محمد مأمون الشناوي فتوى إلى المحاربين والمقاتلين العرب والإسلام، حضت المسلمين على الجهاد والخروج في سبيل الله والاستشهاد وحماية الأوطان، وأكدت أن الجهاد فرض على كل مسلم، ثم دعت لهم بالنصر والعزة والصمود[١٣٤]. وفي كانون الثاني ١٩٥٦، صدرت فتوى من قبل مفتي الديار المصرية، الشيخ حسن مأمون، الذي أكد على أن الجهاد والرد بالقوة على إسرائيل بسبب إعتدائها على دار الإسلام، هو فرض عين على جميع المسلمين[١٣٥]. وفي سنة ١٩٥٦، صدرت فتوى من لجنة الفتوى بالأزهر حول الموقف الإسلامي من دولة إسرائيل، فقد أوجب العلماء على المسلمين في موقفهم نحو إسرائيل الإقتداء بنهج الرسول، في موقفه من أهل مكة وطغيانهم. وتُعد هذه الفتوى دعوة صريحة إلى إزالة إسرائيل من الوجود[١٣٦]. وهناك فتوى آخر صدرت في سنة ١٩٨٦ لشيخ الأزهر، الدكتور عبد الحليم محمود، الذي دعا إلى وجوب إجلاء اليهود وتطهير أرض فلسطين منهم، إذ يقول: "واجب على المسلمين وحدهم، ليستردوا أرضهم ويطهروا المسجد الأقصى وغيره من رجس عدوهم الكفار"[١٣٧]. وقد أفتى أحد كبار علماء الأزهر، الدكتور محمود محمد المزروعة إلى إستمرار الحرب مع إسرائيل وإبادة اليهود جميعًا في فلسطين حتى يتحقق قول رسول الله: "لا تقوم الساعة حتى تقاتل اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله"[١٣٨]. ووفق فتوى شرعية صدرت عن علماء فلسطين سنة ٢٠٠٠، أردفت بفتوى مشابهة سنة ٢٠٠٨، وأخرى سنة ٢٠٠٩، تؤكدان على السيادة الإسلامية على فلسطين عقيدة وفريضة ويحرم التنازل عنها[١٣٩].

ولعب الخطاب الديني دورًا مهمًا في تطور الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، الذي تسبب في التداخل بين الدين والسياسة في القضية الفلسطينية وتبني مجموعة من الحركات السياسية رؤيةً شموليةً للإسلام تشمل جميع جوانب الحياة، وبضمنها الصراع مع إسرائيل. وبرز دور هذه الحركات بشكل لافت منذ منتصف الثمانينات، مع تركيز أنشطتها على القدس والأقصى كرمز لهوية فلسطين "أرضًا إسلامية" في مواجهة مقولة "أرض إسرائيل الكاملة"(١٤٠). فقد دخل الإسلام السياسي، ممثلًا بحركتي الجهاد الإسلامي وحماس، إلى الساحة السياسية الفلسطينية بمفاهيم دينية تجمع بين الدين والدولة، وإقرار الشريعة الإسلامية أساسًا للنظام السياسي في فلسطين. أما بخصوص الصراع فتُعد هذه الحركات أرض فلسطين "وقفًا إسلاميًا" لا يجوز التنازل عن أي جزء منها، وتطبق هذه الرؤية الدينية على طبيعة الصراع ونتائجه(١٤١).

وتُعد حركة حماس إحدى الحركات السياسية المؤثرة في الساحة الفلسطينية وهي تنظر إلى القضية الفلسطينية من خلال المرجعية الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة، كما يظهر في ميثاقها التأسيسي. إذ تعرّف حماس نفسها كحركة جهادية شعبية تهدف إلى تحرير فلسطين كاملة من البحر إلى النهر، وتستند في أفكارها وسياساتها إلى تعاليم الإسلام، وتسعى إلى إزالة إسرائيل وإقامة دولة إسلامية مستقلة(١٤٢). إذ تؤكد إيديولوجية حماس على الطابع الإسلامي للقضية الفلسطينية والصراع مع إسرائيل، منتقدة تصوير منظمة التحرير للصراع كصراع قومي بين الفلسطينيين والصهاينة. فوفقًا لميثاق حماس، تكمن جذور الأزمة في غياب الإسلام عن الواقع، وفشل استعادة الأرض يرجع إلى ابتعاد المسلمين عن الجهاد تحت الرايات الإسلامية. وترى الحركة أن تحرير فلسطين لا يتحقق إلا عبر الإسلام كإيديولوجيا وحيدة قادرة على تعبئة الشعب، معتبرة هذا الصراع صراعًا دينيًا بين الإسلام واليهودية، وليس مجرد نزاع سياسي، تستند الحركة في رؤيتها هذه إلى اعتقاد أن اليهود بدأوا الصراع باسم دينهم، مستندين إلى وعد أرض الميعاد الذي دفعهم لمواجهة المسلمين عبر التاريخ(١٤٣). وتُعد حماس أيضًا الصراع مع إسرائيل واليهود رغمًا عن طابعه الديني هو صراعًا وجوديًا بين "الحق والباطل"، حيث يمثل المسلمون "حزب الله" في مواجهة "حزب الشيطان" اليهودي، ويُميز هذا الموقف لحركة حماس عن منظمة التحرير الفلسطينية التي تهاجم الصهيونية دون اليهود عمومًا، في حين ترفض حماس التمييز بين اليهود والصهاينة، معتبرة اليهودية دينًا يحوي نصوصًا عنصرية تدعم اغتصاب فلسطين تحت ذريعة أرض الميعاد(١٤٤).

ولم تسقط حركة الحماس، منذ تأسيسها في كانون الأول ١٩٨٧، من برنامجها (وهي تقارب العمل السياسي وتعتلي منصة الحكومة في قطاع غزة) الرؤية التي تنظر إلى أرض فلسطين بوصفها "أرض وقف إسلامي" لا يصح التفريط بها أو جزء منها أو التنازل عنها أو جزء منها من قبل أي جهة كانت فلسطينية أو عربية، بل يجب تحريرها ورفع راية الله على كل شبرها، وذلك عن طريق الجهاد الذي يعد فرض عين على كل مسلم ومسلمة، لأنه لا حل للقضية الفلسطينية إلا بالجهاد (وفق رؤيتها)(١٤٥). إذ يؤكد الحركة في ميثاقها التأسيسي على إبادة اليهود جميعًا، وإزالة إسرائيل من الوجود وتخليص أرض فلسطين من الطغاة ودنسهم، ومواصلة الصراع ضد العدو الصهيوني حتى النهاية(١٤٦). وتعارض الحركة

وجميع المبادرات أو الحلول السلمية وكل صيغة تؤدي إلى حل الدولتين والاعتراف بالكيان الإسرائيلي، لأن ذلك يؤدي إلى مواصلة إسرائيل في مصادرة أرض فلسطين والاستيطان فيها(١٤٧).

ولا تختلف حركة الجهاد الإسلامي من حيث المبادئ العقائدية عن حركة حماس، لكن الخلاف بينهما ينبع من الاختلاف في فهم طبيعة الواقع الراهن وطريقة التعامل معه. وتسعى الحركة إلى إقامة دولة إسلامية عبر تحرير فلسطين التي تعدّ مركز العالم الإسلامي، مُبررة اعتمادها على المقاومة بوسائلها المتعددة كردٍّ حتمي على استمرار الاحتلال. وتُصرّ الحركة على رفض الاعتراف بالكيان الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية، معتبرةً ذلك أمرًا محظورًا دينيًا وسياسيًّا. وتؤكد أن الجهاد ضد هذا الكيان يمثّل واجبًا شرعيًّا لا ينتهي إلا بهزيمة إسرائيل وزوالها عن كامل الأراضي الفلسطينية ضمن حدودها التاريخية المعترف بها(١٤٨).

ويتمحور برنامج حركة الجهاد الإسلامي وإيديولوجيتها حول رفض التنازل عن أي جزء من أراضي فلسطين، التي تُعتبر أرضًا إسلامية مقدسة. وبناءً على ذلك، ترفض الحركة أي حلول سلمية تُقدم للقضية الفلسطينية، مُصرّةً على عدم الدخول في أي تهدئة مع إسرائيل أو القبول بمشروع حل الدولتين القائم على إقامة كيان فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة ضمن حدود عام ١٩٦٧، إلى جانب الكيان الإسرائيلي. وتستبعد الحركة هذا النهج بوصفه تنازلاً عن الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني، مؤكدةً أن الصراع مع الاحتلال سيستمر حتى تحرير كامل التراب الفلسطيني ضمن حدوده المعترف بها دينيًّا وتاريخيًّا(١٤٩).

ويتضح تأثر الحقل السياسي الفلسطيني بصعود الخطاب الإسلامي، إذ تراجعت الرؤية العلمانية السابقة التي دعت إلى إقامة دولة ديمقراطية علمانية تشمل جميع مكونات الشعب، وفق ما نص عليه الميثاق الوطني الفلسطيني، والذي مثل المرجعية الفكرية والسياسية المهيمنة منذ سبعينات القرن الماضي حتى منتصف تسعيناته(١٥٠).

شهدت الوثائق الدستورية الفلسطينية تحولاتٍ بارزةً مع تعاظم تأثير التيارات الإسلامية على الإطار الوطني، إذ تجسد هذا التحول في القانون الأساسي المعدل للسلطة الفلسطينية، فقد انفصل عن النهج العلماني الذي مثله الميثاق الوطني سابقًا. فنص القانون على اعتماد الإسلام "دينًا رسميًا في فلسطين"، مع ضمان احترام الديانات السماوية الأخرى، وأشارت إلى أن "مبادئ الشريعة الإسلامية مصدر رئيس للتشريع"(١٥١). وظهر التأثير الديني جليًا في الإضافات الرمزية ضمن نص القانون، مثل إدراج لقب "الشريف" عند الإشارة إلى القدس كعاصمة للدولة الفلسطينية، مع وصفها في مقدمة القانون بأنها "عاصمة فلسطين، وأولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى النبي محمد، ومهد المسيح عيسى". هذه التعديلات تعكس تحولًا في الخطاب الدستوري نحو تعزيز البعد الديني في الهوية الوطنية، مغيرًا بذلك أولويات النص التأسيسي مقارنةً بالمرجعيات السابقة(١٥٢). وينطبق الأمر نفسه على مسودات الدستور الفلسطيني التي طرحها المجلس التشريعي للنقاش بدءًا من عام ٢٠٠٠، فسواء في القانون الأساسي أو مسودة الدستور، يظهر توظيفٌ واضحٌ لمصطلحات الخطاب الإسلامي وإدراجها ضمن الوثائق التأسيسية، وهذا ما يعكس تأثر الإطار الدستوري بالرؤى الدينية السائدة في تلك المرحلة(١٥٣).

وبناءً على ما سبق؛ نستطيع القول؛ أن الهوية الدينية الإسلامية التي أسهمت في تعزيز روح المقاومة حتى قبل تكوين دولة إسرائيل التي تشكل عائقًا أمام التسويات السياسية من ضمنها تسوية حل الدولتين. ويظهر ذلك جليًا في ثلاثة مستويات مترابطة معًا أعطت القضية الفلسطينية هويتها الإسلامية، التي اكتسبت من خلالها الدعم والمساندة من جميع مسلمي العالم. المستوى الأول، هو مستوى العقيدة، إذ يُعد علماء الإسلام أرض فلسطين أرض إسلام مقدسة، إذ تضم أماكن مقدسة لا يمكن أن يحكمها أحد سوى المسلمين. المستوى الثاني، هو المستوى الشرعي، إذ تحرم الفتاوى الصادرة من علماء الإسلام، التنازل عن شبر من أرض فلسطين، والتطبيع مع إسرائيل والدخول في الصلح معها. ويجب تحرير أرض فلسطين كلها عبر الجهاد الذي يعد فرض عين على جميع المسلمين. المستوى الثالث، هو المستوى السياسي، ويظهر ذلك في البرامج والأيديولوجيات السياسية للحركات السياسية الفلسطينية وأحزابها التي تتبنى خيار تدمير إسرائيل وإزالتها من الوجود، وعدم الاعتراف بسيادة إسرائيل على أي شبر من أرض فلسطين، لأنها وقف إسلامي للأجيال لا يمكن لأي طرف كان أو دولة إسلامية كانت التنازل عن جزء منها.

الخاتمة

أظهرت تجربة العقود السبعة الماضية أن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي يبقى السبب الرئيسي لانتشار العنف واندلاع القتال وعدم تحقيق سلام حقيقي في الشرق الأوسط. وبدا هذا الصراع في ظاهره خلافًا سياسيًا نشأ بعد تأسيس الدولة الإسرائيلية، إذ تركز حول السيطرة على أرض فلسطين بين الفلسطينيين والإسرائيليين. لكن الواقع يكشف أن النزاع على الأرض يمثل جانبًا واحدًا من الصراع، وليس جوهره الكلي، وهذا يجعل فهمه أو تحليله غير ممكن اعتمادًا على هذا العامل وحده.

ولفهم أعمق، تجب دراسة الصراع عبر الربط بين العوامل السياسية والدينية والتاريخية. فمن الناحية التاريخية، لولا الخلفية المرتبطة بالوجود اليهودي القديم في فلسطين لما اندلع الصراع أبدًا. أما دينيًا، فلولا تأثير العامل الديني (الذي أطر الصراع وزاده حدة) ما استمرت المواجهات بهذه الشراسة لأكثر من سبعين عامًا. وعند تحليل الصراع من منظور ديني–تاريخي، تتضح حقيقة أن الجانب السياسي وحده عاجز عن تفسير استمرار تأييد الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي للصراع، لولا دمجه مع الرموز المقدسة وتغذيته بالروايات والأساطير التاريخية التي يروجها كل طرف. وهكذا يظل الصراع نتاجًا لتداخل السياسي بالمقدس، إذ تعتمد استمراريته على تحويل الخلاف إلى قضية وجودية تُستدعى فيها الذاكرة التاريخية والرموز الدينية لتعزيز الشرعية وترسيخ الرواية الخاصة بكل جانب.

وعلى ما سبق؛ نستخلص الاستنتاجات الآتية:

١. **طبيعة الصراع:** الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ليس صراعًا سياسيًا خالصًا، بل هو مزيج من العوامل التاريخية والدينية والسياسية، يهدف كل طرف من خلاله إلى تعزيز هويته الدينية والهيمنة على أرض فلسطين.

٢. **الجذور التاريخية:** برغم اندلاع الصراع بشكل واضح بعد إعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، فأن جذوره تعود إلى مرحلة ظهور الإسلام كدين جديد في المنطقة.

٣. **مصدر العداء:** لم يعد النزاع على الأرض سببًا رئيسيًا للكراهية بين الطرفين، بل تعود جذورها إلى الكتب المقدسة لدى كل منه، وتتضمن أوصافًا سلبية للطرف الآخر.

٤. **التمسك الديني بالأرض:** بحسب النصوص الدينية التي يستند إليها الطرفان، يُعد التنازل عن أي جزء من فلسطين/إسرائيل مخالفة لـ "التعاليم الإلهية"، وهذا ما يُصعد قدسية الصراع.

٥. **استغلال الدين سياسيًا:** وظفت التنظيمات السياسية (العلمانية وغير العلمانية) في كلا الجانبين الخطاب الديني لكسب التأييد الشعبي وتعزيز شرعيتها، بغض النظر عن مدى إيمانها به.

٦. **دور المؤسسات الدينية:** تساهم المؤسسات الدينية وعلماء الدين في إطالة أمد الصراع عبر تفسير النصوص المقدسة وإصدار فتاوى تُحرم أي شكل من أشكال التصالح بين الجانبين.

٧. **عقبة التسوية السلمية:** يصعب على الحكومات والأحزاب في كلا الطرفين إقناع شعوبهم بقبول حل الدولتين، نظرًا للتبعات السياسية والأمنية والاقتصادية المترتبة، ولطبيعة الصراع الهوياتي الديني.

٨. **استحالة الحل القريب:** مع هيمنة التيارات الدينية على المشهد السياسي في فلسطين وإسرائيل، تتعذر إقامة أرضية مشتركة لتحقيق حل الدولتين، الذي يُعد شرطًا أساسيًا لإنهاء الصراع وإحلال السلام.

الهوامش:

(١) بيتر كوزن، البحث عن الهوية: الهوية وتشتتها في حياة إيريك إيركسون وأعماله، ترجمة: د. ثامر جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، العين _ الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٠، ص٩٢.

(٢) دارن بارني، المجتمع الشبكي، ترجمة: أنور الجمعاوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٥، ص١٧٩.

(٣) عفيف البوني، في الهوية القومية العربية، في: رياض زكي قاسم (محرر)، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٣، ص٢٣.

(٤) د. سالم لبيض، الهوية: الإسلام، العروبة، التوانسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩، ص٣٢.

(٥) بيتر كوزن، مصدر سبق ذكره، ص٩٣.

(٦) د. سالم لبيض، مصدر سبق ذكره، ص٣٤.

(٧) صموئيل ب. هنتنغتون، من نحن، ترجمة: حسام الدين خضور، دار الرأي للنشر، دمشق، ٢٠٠٥، ص٣٧.

(٨) دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: د. منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧، ص١٥٣.

(٩) د. سالم لبيض، مصدر سبق ذكره، ص٣٦.

(١٠) اليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة: د. علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ١٩٩٣، ص٨٠.

* إن الشعور السليم بالهوية هو شيء شديد التعقيد ويتغذى من مصادر متنوعة: من الصحة ونشاطات الجسم، والشعور بالتجذر في الوطن أو الأسرة أو الشعب أو الجماعة الدينية، في الاعتراف الذي نخبره في علاقاتنا الخاصة وأدوارنا العامة، من متانة قناعاتنا وقيمنا. كذلك يمكن للأمور المختلفة جدًا أن تزعزع هويتنا مثل؛ عدم الكمال الجسدي، نقص التعليم المدرسي، الوضع السياسي والاقتصادي المضطرب، الفساد المستشري، التضليل السياسي، السلوك الجنسي الشاذ، العلاقات الأسرية المضطربة، الانتماء إلى أقلية مقموعة أو الشك الديني.

(١١) بيتر كوزن، مصدر سبق ذكره، ص٩٦.

(١٢) المصدر نفسه، ص٩٧.

(١٣) صموئيل ب. هنتنغتون، مصدر سبق ذكره، ص ص٤١، ٤٢.

(١٤) اليكس ميكشيللي، مصدر سبق ذكره، ص٢٦.

(١٥) المصدر نفسه، ص ص٢٢، ٢٥.

(١٦) دنيس كوش، مصدر سبق ذكره، ص١٥٠.

(١٧) علي الدين هلال، تعقيب (٣) على ورقة د. غسان سلامة الجامعة والتكتلات العربية، في: مجموعة مؤلفين، جامعة الدول العربية الواقع والطموح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٣، ص٨١٥.

(١٨) صموئيل ب. هنتنغتون، مصدر سبق ذكره، ص٣٧.

(١٩) اليكس ميكشيللي، مصدر سبق ذكره، ص١٢٩.

(٢٠) المصدر نفسه، ص٧.

(٢١) د. سابينو أكوافيفا و د. إنزو باتشي، علم الاجتماع الديني: الإشكالات والسياقات، ترجمة: د. عزالدين عناية، هيئة ابوظبي للثقافة والتراث "كلمة"، ابوظبي، ٢٠١١، ص٦٤.

(٢٢) د. عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق التاريخي، ج١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٣، ص ص١٩، ٢٠.

(٢٣) المصدر نفسه، ص٤٧.

(٢٤) نقلاً عن: د. محمد عثمان الخشت، مدخل الى فلسفة الدين، مصدر سابق، ص١٥.

(٢٥) اليكس ميكشيللي، مصدر سبق ذكره، ص١٢٩.

(26) Ângela Leite, Bruno Nobre and Paulo Dias, Religious identity, religious practice, and religious beliefs across countries and world regions, Archive for the Psychology of Religion, Sage Journals, Vol. 45, No. 2, July., 2023, p.109.

(27) Ibid.

(28) Ângela Leite, Bruno Nobre and Paulo Dias, Op.Cit. p.108.

(29) Nancy T. Ammerman, Religious identities and religious institutions, In: Michele Dillon (ed), Hand Book of Sociology of Religion, Cambridge University press, New York, 2003, p.207.

(30) Ibid.

(٣١) تشارلز تايلر، المتخيلات الاجتماعية، ترجمة: الحارث النبهان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٥، ص٢١٩.

(32) Nancy T. Ammerman, Op.Cit. p209.

(٣٣) د. حسام الدين فياض، مفهوم الهوية الإسلامية (جوهرها، سماتها، مصادر بنائها)، موقع منتدى العلماء، تاريخ النشر ١٥/ حزيران/ ٢٠٢١، ص٧، ينظر إلى هذا الرابط: بحث مفهوم الهوية الإسلامية (جوهرها، سماتها، مصادر بنائها) – تأليف د. حسام الدين فياض – منتدى العلماء.

(٣٤) فصلت: ٣٣.

(٣٥) المؤمنون: ٥٢.

(٣٦) آل عمران: ١٩.

(٣٧) د. جاسم بن محمد بن المهلهل الياسين، الهوية الإسلامية، مؤسسة السماحة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠١٢، ص١١.

(٣٨) د. خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، ديوان الوقف السني – مركز البحوث والدراسات الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة (٥٨)، بغداد، ٢٠٠٩، ص٤٥.

(٣٩) د. حسام الدين فياض، مصدر سبق ذكره، ص ص١١، ١٢.

(٤٠) د. خليل نوري مسيهر العاني، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧، ٥٤.

(٤١) د. حسام الدين فياض، مصدر سبق ذكره، ص ص١٢، ١٣.

(٤٢) عبد الله معروف عمر، إسرائيل والقدس وأزمة الهوية، مجلة (International Journal of West Asian Studies)، المجلد:٣، العدد:١، ٢٠١١، ص١١٤.

(٤٣) المصدر نفسه وصفحة نفسها.

(٤٤) عبد الوهاب المسيري، من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟ أسئلة الهوية وأزمة الدولة اليهودية، دار الشروق، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٨، ص٣٠٧.

(٤٥) المصدر نفسه وصفحة نفسها.

(٤٦) د. فرج الله عبد الباري، اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٢٨، ٣٣.

(٤٧) د. محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨، ص ص٢٥٣، ٢٥٩.

(٤٨) د. رشاد عبد الله الشامي، إشكالية اليهودية في إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد: ٢٢٤، أغسطس ١٩٩٧، ص ٢١٦.

(49) Mustafa Yiğitoğlu, Negative Attitudes of Jews Regarding to Islam and Muslims throughout the History, Journal of History Culture and Art Research, Vol. 6, No. 2, March., 2017, p.188.

(٥٠) د. إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩١٤، ص١٢٢.

51) Mustafa Yiğitoğlu, op. cit. p.189.

(٥٢) د. إسرائيل ولفنسون، مصدر سبق ذكره، ص١٢٢.

(٥٣) محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠، ص ص١٥١، ١٥٦.

(٥٤) أبراهام غايغر، اليهودية والإسلام، ترجمة: نبيل فياض، دار الرافدين، بيروت، ٢٠١٨، ص٥٨.

(٥٥) محمد سيد طنطاوي، مصدر سبق ذكره، ص ص١٥٨، ١٥٩.

(٥٦) آل عمران: ٦٧.

(٥٧) محمد سيد طنطاوي، مصدر سبق ذكره، ص١٦١.

(٥٨) آل عمران: ٥٩.

(٥٩) محمد سيد طنطاوي، مصدر سبق ذكره، ص١٦٣.

(٦٠) البقرة: ١٠٦.

(61) Mustafa Yiğitoğlu, op. cit. p.189.

(٦٢) محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي: بروتوكولات حكماء اليهود، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، بلا تاريخ، ص٥٧.

(٦٣) محمد خليفة التونسي، مصدر سبق ذكره، ص٥٧.

(٦٤) اللاويين: ٢٠: ٢٣-٢٤.

(٦٥) التثنية: ٧: ٦، ٧، ١٤، ١٦.

(66) Mustafa Yiğitoğlu, op. cit. pp.189- 190-191.

(67) Bernard Lewis, The Jews of Islam, Princeton University press, New Jersey, 1984, p.68.

(68) Reuven Firestone, Is the Qur'an "Antisemitic"?, In: Armin Lange et al., Confronting Antisemitism from the Perspectives of Christianity, Islam, and Judaism, Vol.2, De Gruyter., 2020, pp.88-90-91.

(٦٩) مصطفى أحمد الرفاعي اللبان، موقف الإسلام من كتب اليهود والنصارى، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٣هـ، ص٧٦.

(٧٠) البقرة: ٧٥.

(٧١) آل عمران: ٧٨.

(٧٢) محمد عزة دروزة، اليهود في القرآن الكريم، المكتب الإسلامي، دون مكان نشر، ١٩٨٠، ص٤٣.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ٤٥-٥٥.

(٧٤) آل عمران: ٢٣.

(٧٥) البقرة: ٨٣.

(٧٦) المائدة: ٧٨-٧٩

(٧٧) البقرة: ٥١.

(٧٨) البقرة: ٨٧.

(٧٩) البقرة: ٧٦.

(٨٠) المائدة: ٦٢-٦٣.

(٨١) المائدة: ٧٠.

(٨٢) المائدة: ٦٤.

(٨٣) البقرة: ٧٤.

(84) Reuven Firestone, op. cit. p.104.

(85) Ibid, p.92.

(٨٦) سيد قطب، معالم في الطريق، المركز العربي للدراسات والأبحاث، الدوحة، ٢٠٠٩، ص٥٨.

(٨٧) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص ٣٨٠، ٣٨١.

(88) Yitzhak Reiter, Religion as a Barrier to Compromise in the Israeli-Palestinian Conflict, 2011, p.239.

(٨٩) التكوين: ١٢: ١، ٢، ٣.

(٩٠) التكوين: ١٣: ١٤، ١٥.

(٩١) التكوين: ١٥: ٧.

(٩٢) التكوين: ١٧: ٧، ٨.

(٩٣) إبراهيم أبو داه، أباطيل إسرائيل وأكاذيب الصهاينة: دين ودولة، مكتبة وهران، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ص٦٤، ٦٥.

(٩٤) باهر عبد العظيم السيد حنفي حماد، الدور السياسي للأصولية اليهودية في إقامة دولة إسرائيل، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، المجلد: ٥٢، العدد:١، يناير ٢٠٢١، ص ٢٣، ٢٤.

(٩٥) عقل صلاح وكميل أبو حنش، إسرائيل دولة بلا هوية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٢١، ص ١٥٢.

(٩٦) إيان لوستك، الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الأرض والرب، ترجمة: حسني زينة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩١، ص ٢٧، ٢٨.

(٩٧) التثنية: ١١: ٣١.

(98) Yitzhak Reiter, op. cit. p.240.

(٩٩) باهر عبد العظيم السيد حنفي حماد، مصدر سبق ذكره، ص٢٩.

(100) Ömer Kemal Buhari, Ilahiyat Studies, Vol. 10, No. 1, Winter / Spring., 2019, p.103.

(١٠١) إبراهيم أبو داه، مصدر سبق ذكره، ص٦٤.

(١٠٢) المصدر نفسه، وصحيفة نفسها.

* هذا دليل على إن الأشخاص علمانيين أمثال بن غوريون وديان وهرتزل، لا فرق لديهم بين اليهودية كديانة واليهود كدولة، وأن الصهوينية كحركة علمانية لم تستطيع وضع تعريف لليهود (كعرق) مغاير عن تعريف الذي وضعه

الشريعة اليهودية لوصف كل من ينتمي إلى هذا الدين. فاليهودي عرقيًا بنظر الصهيونية هو أيضًا اليهودي دينيًا. (عقل صلاح وكميل أبو حنش، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٣).

([103]) Ömer Kemal Buhari, op. cit. p.102.

([١٠٤]) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص ٩٠، ٩١.

([105]) Krzysztof Izak, The Jewish-Palestinian conflict. History and the Present, Terrorism – Studies, Analyses, Prevention, No. 6, 2024, p.332.

([١٠٦]) باهر عبد العظيم السيد حنفي حماد، مصدر سبق ذكره، ص٥٣.

([١٠٧]) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص ٩٧.

([١٠٨]) باهر عبد العظيم السيد حنفي حماد، مصدر سبق ذكره، ص٥٤.

([١٠٩]) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٣.

* شرع الكنيسيت الإسرائيلي في تموز ٢٠١٨ تشريعًا ذا صبغة دستورية باسم "قانون أساس: إسرائيل–الدولة القومية للشعب اليهودي" فقد شرع هذا القانون الهوية اليهودية لدولة إسرائيل (الباحث).

([١١٠]) باهر عبد العظيم السيد حنفي حماد، مصدر سبق ذكره، ص٥٣.

([١١١]) عقل صلاح وكميل أبو حنش، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٩، ١٦٠.

([١١٢]) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص ٩٨.

* بعد اندلاع الانتفاضة الأولى، ذهبت منظمة التحرير الفلسطينية نحو الإقرار بوجود دولة إسرائيل، وذلك عندما تبنت الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في مدينة الجزائر، في منتصف تشرين الثاني ١٩٨٨، وثيقة الاستقلال، التي أعلنت قيام دولة فلسطين فوق الأرض الفلسطينية، وعاصمتها القدس الشريف، وموافقة منظمة التحرير الفلسطينية، لأول مرة منذ نشوئها، على قرار تقسيم فلسطين الدولي رقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧، باعتباره "ما زال يوفّر شروطًا للشرعية الدولية تضمن حق الشعب العربي في السيادة والاستقلال الوطني". ووافقت منظمة التحرير، في تلك الدورة، على قرارَي مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨، بحيث تحددت حدود الدولة الفلسطينية ضمن الأراضي التي احتلتها إسرائيل في حزيران سنة ١٩٦٧. وفي البيان الذي ألقاه في المؤتمر الصحافي الذي عقده في مدينة جنيف في ١٤ كانون الأول ١٩٨٨، أكد ياسر عرفات أن القرارات التي تبنتها الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني "تعني حق شعبنا بالحرية والاستقلال الوطني وفقاً للقرار ١٨١، وحق جميع الأطراف في النزاع بالوجود في سلام وأمن، بما فيها الدولة الفلسطينية وإسرائيل وجيرانها وفقاً للقرار ٢٤٢".

وبعد خمس سنوات تقريبًا على اتخاذ هذا الموقف، وتتويجًا للمفاوضات السرية التي جرت في مدينة أوسلو بين ممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية وممثلين عن حكومة حزب العمل الإسرائيلي، أكد ياسر عرفات في الرسالة التي أرسلها إلى رئيس الحكومة يتسحاق رابين، في ٩ أيلول ١٩٩٣، أن منظمة التحرير الفلسطينية تعترف "بحق دولة إسرائيل في الوجود بسلام وأمن"، وتعيد التذكير بقبولها قراري مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و٣٣٨ ونبذ اللجوء إلى "الإرهاب وأعمال

العنف الأُخرى". وفي ١٤ شباط ١٩٩٨ صادق المجلس الوطني الفلسطيني على إلغاء مواد الميثاق الوطني الفلسطيني التي نصت على القضاء على دولة إسرائيل وبعض فقرات أخرى لا تتلاءم مع الالتزامات الواردة في اتفاق واي بلانتيشن.

وبعد عقدين من الاعتراف بدولة إسرائيل تراجع الفلسطينيون عن هذا الاعتراف إذ قرر المجلس المركزي الفلسطيني في ١٠ شباط ٢٠٢٢ إنهاء التزامات منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية بكافة الاتفاقيات مع سلطات الاحتلال الإسرائيلي وتعليق الاعتراف بدولة إسرائيل إلى حين اعترافها بدولة فلسطينية على حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ وعاصمتها القدس الشرقية ووقف الاستيطان. وهذا القرار ما زال ساريًا إلى يومنا هذا. (للمزيد ينظر إلى هذا الرابط: الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية | جدول الأحداث الكلي).

(١١٣) د. جمال عبد الناصر محمد عبدالله أبو نحل، مكانة فلسطين وأخبارها في التصور الإسلامي، ينظر إلى هذا الرابط: فلسطين وأخبارها في الإسلام – دائرة المعارف الفلسطينية.

(١١٤) أرون يفتاحئيل، الإثنوقراطية: سياسات الأرض والهوية في إسرائيل/ فلسطين، ترجمة: سلافة حجاوي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢، ص ٦٨.

(115) Yitzhak Reiter, op. cit. p.243.

(١١٦) نادية سعد الدين، الحركات الدينية السياسية ومستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢، ص ٢٣٩.

(١١٧) د. يوسف القرضاوي، القدس قضية كل مسلم، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٤٤، ٤٥.

(١١٨) موسى البديري، الفلسطينيون بين الهوية القومية والهوية الدينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد: ٦، العدد: ٢١، شتاء ٢٠٢١، ص١٤.

(١١٩) د. يوسف القرضاوي، مصدر سبق ذكره، ص ص٤٥، ٨٢.

(120) Meir Litvak, The Islamization of the Palestinian-Israeli Conflict: The Case of Hamas, Middle Eastern Studies, Vol. 34, No. 1, Jan., 1998, p.151.

(١٢١) نادية سعد الدين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٥، ٢٣٧.

(١٢٢) المصدر نفسه، ص٢٣٨.

(١٢٣) محمد صفوت نور الدين، موسوعة الفتاوي الفلسطينية، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، قبرص، ط٢، ص١٢٢.

(١٢٤) الفتوى الصادرة عن مؤتمر علماء فلسطين الاول المنعقد في القدس بتاريخ ١٩٣٥م وتقضي بتحريم بيع الاراضي لليهود، ينظر إلى هذا الرابط: نص الفتوى الصادرة عن مؤتمر علماء فلسطين الاول المنعقد في القدس بتاريخ ١٩٣٥م وتقضي بتحريم بيع الاراضي لليهود | الضفة الفلسطينية.

(١٢٥) محمد صفوت نور الدين، مصدر سبق ذكره، ص٣٤٤.

(١٢٦) المصدر نفسه، ص٣٨٧.

(١٢٧) جماعة من العلماء (تقديم)، فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول تحرير فلسطين والأقصى الشريف، دار اليسر، القاهرة، ٢٠١٠، ص١١١.

(١٢٨) المصدر نفسه، ص١٢٢.

* في المقابل هناك بعض فتاوى تجيز عقد اتفاقيات الصلح والسلام مع إسرائيل، وتستند تلك الفتاوى على ما حصل بين النبي واليهود في المدينة. ومن أبرز تلك الفتاوى؛ فتاوى المفتي العام السابق للمملكة العربية السعودية، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وفتوى مفتي الديار المصرية، الشيخ جاد الحق، التي تؤيد اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل في عام ١٩٧٩. للمزيد ينظر إلى: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، حكم الصلح مع اليهود في ضوء الشريعة الإسلامية، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٩٩٦، ص ١٣-١٩. وكذلك إسحاق رايتر، الحرب والسلام والعلاقات الدولية في الإسلام المعاصر: فتاوى في موضوع السلام مع إسرائيل، معهد القدس لأبحاث إسرائيل، القدس، ٢٠١٤، ص١٠٣.

(١٢٩) إسحاق رايتر، مصدر سبق ذكره، ص٩٢.

(١٣٠) الشيخ جواد رياض، فتاوى الأزهر في وجوب الجهاد وتحريم التعامل مع الكيان الصهيوني، مركز يافا للدراسات والأبحاث، القاهرة، ١٩٩٩، ص٨٥.

(١٣١) الشيخ جواد رياض، مصدر سبق ذكره، ص ٩٠، ٩١.

(١٣٢) إسحاق رايتر، مصدر سبق ذكره، ص٨٢.

(١٣٣) الشيخ جواد رياض، مصدر سبق ذكره، ص٥.

(١٣٤) جماعة من العلماء (تقديم)، مصدر سبق ذكره، ص ٤١-٤٦.

(١٣٥) إسحاق رايتر، مصدر سبق ذكره، ص٨٧.

(١٣٦) محمد صفوت نور الدين، مصدر سبق ذكره، ص٣٤٧.

(١٣٧) جماعة من العلماء (تقديم)، مصدر سبق ذكره، ص ص٧٤، ٧٥.

(١٣٨) المصدر نفسه، ص١٢٣.

(١٣٩) نادية سعد الدين، مصدر سبق ذكره، ص ص٢٤٠، ٢٤١.

(١٤٠) المصدر نفسه، ص ص٢٣١، ٢٤٩.

(١٤١) المصدر نفسه، ص٢٦١.

(١٤٢) المصدر نفسه، ص ص٢٧٦، ٢٨٣.

(143) Meir Litvak, op. cit. p.149.

(144) Ibid., pp.150, 151.

(١٤٥) حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، ميثاق حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، المواد: ٦، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥.

(١٤٦) المصدر نفسه، المواد: ٣، ٧.

(١٤٧) المصدر نفسه، المادة: ٢٣.

(١٤٨) حركة الجهاد الإسلامي، البيان الأول الصادر عن الحركة في إطار الانتفاضة ١٩٨٧، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد: ١٠، العدد: ٣٧، شتاء ١٩٩٩.

(١٤٩) المصدر نفسه.

(١٥٠) نادية سعد الدين، مصدر سبق ذكره، ص ص٢٦٢، ٢٦٣.

(١٥١) القانون الأساسي المعدل للسلطة الفلسطينية (٢٠٠٣)، المادة: ٤.

(١٥٢) المصدر نفسه.

(١٥٣) نادية سعد الدين، مصدر سبق ذكره، ص٢٦٣.

المصادر والمراجع

أولًا: الكتب المقدسة

١) القرآن الكريم.

٢) التوراة.

ثانيًا: القوانين والوثائق الرسمية

١) القانون الأساسي المعدل للسلطة الفلسطينية (٢٠٠٣).

٢) حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، ميثاق حركة المقاومة الإسلامية "حماس".

ثالثًا: الكتب

أ) الكتب باللغة العربية

١) أبراهام غايغر، اليهودية والإسلام، ترجمة: نبيل فياض، دار الرافدين، بيروت، ٢٠١٨.

٢) إبراهيم أبو داه، أباطيل إسرائيل وأكاذيب الصهاينة: دين ودولة، مكتبة وهران، القاهرة، ٢٠٠٣.

٣) أبن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

٤) أرون يفتاحئيل، الإثنوقراطية: سياسات الأرض والهوية في إسرائيل/ فلسطين، ترجمة: سلافة حجاوي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢.

٥) إسحاق رايتر، الحرب والسلام والعلاقات الدولية في الإسلام المعاصر: فتاوى في موضوع السلام مع إسرائيل، معهد القدس لأبحاث إسرائيل، القدس، ٢٠١٤.

٦) إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩١٤.

٧) اليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة: د. علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ١٩٩٣.

٨) إيان لوستك، الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الأرض والرب، ترجمة: حسني زينة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩١.

٩) بيتر كوزن، البحث عن الهوية: الهوية وتشتتها في حياة إيريك إيركسون وأعماله، ترجمة: د. ثامر

جميل رضوان، دار الكتاب الجامعي، العين _ الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٠.
١٠) تشارلز تايلر، المتخيلات الاجتماعية، ترجمة: الحارث النبهان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٥.
١١) جاسم بن محمد بن المهلهل الياسين، الهوية الإسلامية، مؤسسة السماحة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠١٢.
١٢) جماعة من العلماء (تقديم)، فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول تحرير فلسطين والأقصى الشريف، دار اليسر، القاهرة، ٢٠١٠.
١٣) دارن بارني، المجتمع الشبكي، ترجمة: أنور الجمعاوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٥.
١٤) دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: د. منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧.
١٥) رشاد عبد الله الشامي، إشكالية اليهودية في إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد: ٢٢٤، أغسطس ١٩٩٧.
١٦) سابينو أكوافيفا ود. إنزو باتشي، علم الاجتماع الديني: الإشكالات والسياقات، ترجمة: د. عزالدين عناية، هيئة ابوظبي للثقافة والتراث "كلمة"، ابوظبي، ٢٠١١.
١٧) سالم لبيض، الهوية: الإسلام، العروبة، التوانسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩.
١٨) سيد قطب، معالم في الطريق، المركز العربي للدراسات والأبحاث، الدوحة، ٢٠٠٩.
١٩) الشيخ جواد رياض، فتاوى الأزهر في وجوب الجهاد وتحريم التعامل مع الكيان الصهيوني، مركز يافا للدراسات والأبحاث، القاهرة، ١٩٩٩.
٢٠) صموئيل ب. هنتنغتون، من نحن، ترجمة: حسام الدين خضور، دار الرأي للنشر، دمشق، ٢٠٠٥.
٢١) عبد العزيز بن عبد الله بن باز، حكم الصلح مع اليهود في ضوء الشريعة الإسلامية، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٩٩٦.
٢٢) عبد الوهاب المسيري، من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟ أسئلة الهوية وأزمة الدولة اليهودية، دار الشروق، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٨.
٢٣) عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق التاريخي، ج١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٣.
٢٤) عفيف البوني، في الهوية القومية العربية، في: رياض زكي قاسم (محرر)، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٣.
٢٥) عقل صلاح وكميل أبو حنش، إسرائيل دولة بلا هوية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٢١.
٢٦) فتاوى في موضوع السلام مع إسرائيل، معهد القدس لأبحاث إسرائيل، القدس، ٢٠١٤.

٢٧) فرج الله عبد الباري، اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٤.
٢٨) مجموعة مؤلفين، جامعة الدول العربية الواقع والطموح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٣.
٢٩) محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي: بروتوكولات حكماء اليهود، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، بلا تاريخ.
٣٠) محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨، ص٢٥٣.
٣١) محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠.
٣٢) محمد صفوت نور الدين، موسوعة الفتاوي الفلسطينية، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، قبرص، ط٢، ٢٠١٢.
٣٣) محمد عزة دروزة، اليهود في القرآن الكريم، المكتب الإسلامي، دون مكان نشر، ١٩٨٠.
٣٤) مصطفى أحمد الرفاعي اللبان، موقف الإسلام من كتب اليهود والنصارى، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٣هـ.
٣٥) نادية سعد الدين، الحركات الدينية السياسية ومستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢.
٣٦) يوسف القرضاوي، القدس قضية كل مسلم، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠.

ب) الكتب باللغة الإنكليزية

1) Bernard Lewis, The Jews of Islam, Princeton University press, New Jersey, 1984.
2) Nancy T. Am merman, Religious identities and religious institutions, In: Michele Dillon (Ed), Hand Book of Sociology of Religion, Cambridge University press, New York, 2003.
3) Yitzhak Reiter, Religion as a Barrier to Compromise in the Israeli-Palestinian Conflict, 2011.

رابعًا: الدوريات والبحوث العلمية

أ) باللغة العربية

١) باهر عبد العظيم السيد حنفي حماد، الدور السياسي للأصولية اليهودية في إقامة دولة إسرائيل، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، المجلد: ٥٢، العدد:١، يناير ٢٠٢١.
٢) حركة الجهاد الإسلامي، البيان الأول الصادر عن الحركة في إطار الانتفاضة ١٩٨٧، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد: ١٠، العدد: ٣٧، شتاء ١٩٩٩.
٣) د. خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، ديوان الوقف السني –مركز البحوث والدراسات الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة (٥٨)، بغداد، ٢٠٠٩.
٤) عبد الله معروف عمر، إسرائيل والقدس وأزمة الهوية، مجلة (International Journal of West)،

المجلد:٣، العدد:١، ٢٠١١.

٥) موسى البديري، الفلسطينيون بين الهوية القومية والهوية الدينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد: ٦، العدد: ٢١، شتاء ٢٠٢١.

ب) باللغة الإنكليزية

1) Ângela Leite, Bruno Nobre and Paulo Dias, Religious identity, religious practice, and religious beliefs across countries and world regions, Archive for the Psychology of Religion, Sage Journals, Vol. 45, No. 2, July. 2023.
2) Krzysztof Izak, The Jewish-Palestinian conflict. History and the Present, Terrorism – Studies, Analyses, Prevention, No. 6, 2024.
3) Meir Litvak, The Islamization of the Palestinian-Israeli Conflict: The Case of Hamas, Middle Eastern Studies, Vol. 34, No. 1, Jan., 1998.
4) Mustafa Yiğitoğlu, Negative Attitudes of Jews Regarding to Islam and Muslims throughout the History, Journal of History Culture and Art Research, Vol. 6, No. 2, March., 2017.
5) Ömer Kemal Buhari, Ilahiyat Studies, Vol. 10, No. 1, winter / spring. 2019.
6) Reuven Firestone, Is the Qur'an "Antisemitic"?, In: Armin Lange et al., Confronting Antisemitism from the Perspectives of Christianity, Islam, and Judaism, Vol.2, De Gruyter., 2020.

خامسًا) المواقع الالكترونية:

١) جمال عبد الناصر محمد عبدالله أبو نحل، مكانة فلسطين وأخبارها في التصور الإسلامي، تجده من خلال هذا الرابط: فلسطين وأخبارها في الإسلام – دائرة المعارف الفلسطينية. آخر زيارة يوم (٢٠٢٥/٢/١٠).

٢) حسام الدين فياض، مفهوم الهوية الإسلامية (جوهرها، سماتها، مصادر بنائها)، موقع منتدى العلماء، تاريخ النشر ١٥/ حزيران/ ٢٠٢١.

٣) تجده من خلال هذا الرابط: بحث مفهوم الهوية الإسلامية (جوهرها، سماتها، مصادر بنائها) – تأليف د. حسام الدين فياض – منتدى العلماء. آخر زيارة يوم (٢٠٢٤/٨/٢٨).

٤) الفتوى الصادرة عن مؤتمر علماء فلسطين الاول المنعقد في القدس بتاريخ ١٩٣٥م وتقضي بتحريم بيع الاراضي لليهود، تجده من خلال هذا الرابط: نص الفتوى الصادرة عن مؤتمر علماء فلسطين الاول المنعقد في القدس بتاريخ ١٩٣٥م وتقضي بتحريم بيع الاراضي لليهود | الضفة الفلسطينية. آخر زيارة يوم (٢٠٢٥/٢/٢٠).

٥) الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية | جدول الأحداث الكلي. آخر زيارة يوم (٢٠٢٥/٢/١٠).